مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية
تأسس عام ١٩٩٤م - جامعة الكويت

وثائق تاريخية

دورية ربع سنوية
تصدر عن مركز دراسات الخليج
والجزيرة العربية في جامعة الكويت

تاريخ الكويت والوثيقة العثمانية عام ١٧٠١ م
بين أزمة النص وأبعاد المضمون
أ.د عبدالله الهاجري

الكويت في مذكرات مدحت باشا
أ. حصة فالح العجمي

الكويت ودعم القضية الفلسطينية: المحسنة الكويتية شاهة الحمد الصقر
د.خالد يوسف الشطي

الوقف الخيري في الكويت: المحسن الكويتي ناصر بن عبدالله الفنيني
أ. طلال الرميضي

العـــــدد (٢)

ديسمبر ٢٠٢٠م

مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية
تأسس عام ١٩٩٤م - جامعة الكويت

وثائق تاريخية

دورية ربع سنوية تصدر
عن مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية في جامعة الكويت

تاريخ الكويت والوثيقة العثمانية عام ١٧٠١ م بين أزمة النص وأبعاد المضمون

أ.د عبدالله الهاجري

الكويت في مذكرات مدحت باشا

أ. حصة فالح العجمي

الكويت ودعم القضية الفلسطينية: المحسنة الكويتية شاهة الحمد الصقر

د.خالد يوسف الشطي

الوقف الخيري في الكويت: المحسن الكويتي ناصر بن عبدالله الفنيني

أ. طلال الرميضي

العـــــدد (٢)

ديسمبر ٢٠٢٠م

الآراء الواردة في هذه الدراسة لا تعبّر بالضرورة عن اتجاهات يتبناها مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية بجامعة الكويت

الناشر

مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية

جامعة الكويت

ص.ب: ٦٤٩٨٦ الشويخ (ب) الرمز البريدي: ٧٠٤٦٠ ، الكويت

هاتف : ٢٤٩٨٤٦٣٩ ـ ٢٤٩٨٤٦٥٨ (٩٦٥+)

البريد الإلكتروني Gulf_center@yahoo.com

الموقع الإلكتروني www.cgaps.ku.edu.kw

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمركز

الطبعة الأولى

الكويت ـ ٢٠٢٠

تأسس **مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية** في جامعة الكويت في عام ١٩٩٤، كمركز بحثي يهتم بالبحوث والدراسات العلمية ذات الصلة بالقضايا التي تهم دولة الكويت ومنطقة الخليج والجزيرة العربية على وجه التحديد، ومنطقة الشرق الأوسط والقضايا الدولية عموماً.

ومن هذا المنطلق يقوم المركز بإصدار سلسلة «**وثائق تاريخية**»، وهي دورية تُعنى بنشر الوثائق التاريخية التي تتعلق بتاريخ دولة الكويت ومنطقة الخليج والجزيرة العربية، ويقوم نخبة من الخبراء والمختصين بالتعليق على هذه الوثائق من ناحية محتواها والظروف التاريخية التي صاحبت إصدارها. وتهدف هذه الدورية إلى تزويد الباحثين والمهتمين بمراجع تاريخية من خلال الاستفادة من أرشيف المركز الذي يحتوي على العديد من الوثائق التاريخية النادرة.

أعضاء مجلس إدارة
مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية

أ. د. رشيد العنزي
نائب مدير جامعة الكويت للأبحاث (رئيس مجلس الإدارة)

د. فيصل أبو صليب
مدير المركز. نائب رئيس مجلس الإدارة

داخل جامعة الكويت

أ. د. يوسف ذياب الصقر
قسم الفقه المقارن والسياسة الشرعية
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة الكويت

أ. د. عبيد سرور العتيبي
رئيس قسم الجغرافيا ـ كلية العلوم الاجتماعية
جامعة الكويت

أ.د. فايز منشر الظفيري
قسم المناهج وطرق التدريس ـ كلية التربية
جامعة الكويت

أ.د. عبدالله محمد الهاجري
العميد المساعد للشؤون الأكاديمية
والأبحاث والدراسات العليا ـ كلية الآداب
جامعة الكويت

خارج جامعة الكويت

أ. عبدالعزيز عبدالله السالم
رئيس قطاع البحوث والدراسات الاستراتيجية
جهاز الأمن الوطني

أ. عبد الإله محمد رفيع معرفي
رئيس مجلس الإدارة والعضو المنتدب
للشركة الأولى للفنادق ـ دولة الكويت

سعادة السفير/ جمال عبدالله الغانم
مساعد وزير الخارجية للشؤون الإدارية
وزارة الخارجية ـ دولة الكويت

أ. غالب محمد العصيمي
الوكيل المساعد للشؤون الإدارية والمالية
وزارة الإعلام ـ دولة الكويت

فهرس المحتويات

رقم الصفحة

تقديم..... ١١

ـ تاريخ الكويت والْوَثِيقَةُ العُثمَانية ١٧٠١م بين أزمة النَّص وأبعاد المضمون..... ١٣
أ.د عبد الله محمد الهاجري ـ أستاذ تاريخ الكويت الحديث والمعاصر ـ جامعة الكويت

ـ الكويت في مذكرات مدحت باشا قراءة نقديَّة تحليليَّة لمعطيات النَّص التَّاريخي... ٤٥
أ. حصَّة فالح العجمي ـ مدرس مساعد ـ قسم التاريخ ـ جامعة الكويت

ـ الكويت ودعم القضية الفلسطينية: المحسنة شاهة حمد الصَّقر..... ٧٦
د.خالد يوسف الشطي ـ رئيس مركز الكويت لتوثيق العمل الإنساني«فنار»

ـ الوقف الخيري في الكويت: المحسن الكويتي ناصر بن عبدالله الفنيني..... ٨٨
أ. طلال سعد الرميضي ـ أمين عام رابطة الأدباء السَّابق ومؤرِّخ كويتي

تقديم

تأتي فكرة إصدار دورية «**وثائق تاريخية**» كمحاولة للاستفادة من الأرشيف التاريخي الثري وإخراجه إلى النور من خلال عرضه في صورة بحثية بشكل يستفيد منه الباحثون والمهتمون بتاريخ الكويت والمنطقة. ويقدم العدد الحالي من «**وثائق تاريخية**» بحوثاً مهمة لوثائق تسلط الضوء على جوانب مختلفة من تاريخ الكويت، حيث يشارك الأستاذ الدكتور عبدالله الهاجري الأستاذ في قسم التاريخ بجامعة الكويت في عرض بحثي **لوثيقة عثمانية مؤرخة في عام ١٧٠١** وتتعلق بتاريخ الكويت من خلال إشارتها إلى «جماعة العتوب». وقد أثارت هذه الوثيقة جدلاً واسعاً بعد ظهورها لأول مرة، ويسعى الباحث إلى استعراض ردود الفعل المختلفة تجاهها، وتقديم رؤية نقدية لهذه الوثيقة وعلاقتها بتاريخ الكويت. كما تشارك **أ. حصة فالح العجمي** الأستاذة في قسم التاريخ بجامعة الكويت بورقة بحثية بعنوان «**الكويت في مذكرات مدحت باشا**»، حيث تعتبر هذه المذكرات من المراجع التاريخية المهمة في تاريخ الكويت، وتسعى الباحثة إلى تسليط الضوء عليها من زاوية نقدية تزود المهتمين والباحثين بقراءة جديدة لها. في حين يقدم الباحث **الدكتور خالد الشطي** وثيقة تاريخية تتعلق بدور الكويت التاريخي في دعم الشعب الفلسطيني من خلال عرضه لوثيقة حول تقديم الجمعية الخيرية الإسلامية في فلسطين الشكر للمحسنة الكويتية السيدة **شاهة الحمد الصقر** رحمها الله، وذلك بعد تبرعها المالي السخي للجمعية بعد زيارة مفتي فلسطين الشيخ محمد أمين الحسيني للكويت في عام ١٩٣٦. ولا شك بأن هذه الوثيقة التاريخية تعكس الجذور الراسخة للعمل الإنساني والخيري بين أبناء الشعب الكويتي منذ فترات تاريخية مبكرة، وخصوصاً في دعم القضية الفلسطينية. كما يتناول الباحث **الأستاذ طلال الرميضي** موضوع الأوقاف التاريخية الكويتية والعمل الخيري في الكويت منذ القدم من خلال عرضه لوثيقة تاريخية للوقف الشرعي للمحسن الكويتي **ناصر بن عبدالله الفنيني** رحمه الله لآبار مياه استفاد منها أهل الكويت قبل تطوير محطات تحلية المياه.

د. فيصل أبوصليب

مدير المركز

تاريخ الكويت والْوَثِيقَةُ العُثمَانية١٧٠١م
بين أزمة النَّص وأبعاد المضمون

أ.د عبد الله محمد الهاجري
أستاذ تاريخ الكويت الحديث والمعاصر ـ جامعة الكويت

الملخص:

تتناول هذه الدِّراسة وبشكل موسع (إشكاليَّة) الوثيقة العثمانيَّة المؤرَّخة في العام ١٧٠١م والمكتشفة (**بحثيًّا**) في ثمانينيات القرن الماضي ١٩٨٢م منه تحديدًا، حيث كان ظهور الوثيقة بمثابة مفاجأة تاريخيَّة بالنسبة لتاريخ (**العتوب وعام استقرارهم في الكويت ولاحقًا البحرين**)، كما لفتت الوثيقة نظر الباحثين والمؤرِّخين إلى ضرورة إعادة النَّظر في الكثير من النُّصوص والدلالات المكرَّسة والتي تضخَّمت وتعزَّزت نحو اتجاه واحد في تاريخ الكويت، استُهلَّت الدِّراسة بتقديم خلفيَّة تاريخيَّة عن الوثيقة وأهميتها تاريخيًّا، وطبيعة المؤلَّفات والدِّراسات التي كانت تعتمد في الغالب على المستند والوثيقة (**البريطانيَّة**) لأسباب ألمحنا لمبرراتها ودوافعها، كذلك تطرَّقت الدِّراسة مستعرضةً المشاهد الأولى لكيفيَّة تسرب الوثيقة العثمانيَّة في المؤلفات التاريخيَّة والبحثيَّة، وموقف المؤرَّخين والمختصِّين منها، كما عرضت الدِّراسة التَّرجمات المختلفة للوثيقة وألمحت إلى أنَّ الاختلافات التي ظهرت على هذه التَّرجمات مرده طبيعة تعامل المترجمين أنفسهم مع (نصِّ الوثيقة نفسها وليس مضمونها) ، وأنَّ الوثيقة العثمانيَّة دون

شكٍّ كان لها دورٌ كبيرٌ في تحديد اتجاهات المؤرخين والباحثين نحو رؤى وتوجُّهات جديدة في تفسير بعض الوقائع والأحداث في تاريخ منطقة الخليج العربي لاسيما تلك التي كانت تتعلق بشؤون العتوب وبعض القبائل أو(**العشائر**) المتحالفة معهم في تلك الفترة قبل استقرارهم وتأسيسهم لكيانهم السِّياسي بالكويت، كما ألمحت الدِّراسة أيضًا لخطورة الانغلاق في استخدام مصادر معيَّنة في كتابة تاريخ الكويت وإحاطة ما سواها بالشُّكوك والشُّبهات، كما حدث مع هذه الوثيقة، إذ كانت أغلب الكتابات التي تناولتها مبنيَّة على مشهدين أو نزعتين متضادتين الأولى الانحياز لها، والثَّانية الرَّفض أو التَّشكيك فيها، وكلٌّ من النزعتين تقاسمت مجموعة واسعة من وجهات النظر التي دارت جلُّها في فلك هذين النَّمطين المتضادين، الأمر الذي أدَّى في النِّهاية لخلق صورة باهتة الحضور للوثيقة العثمانيَّة في تاريخ الكويت وجعلها محط اختلاف وإعادة نظر، أخيرًا هدفت الدِّراسة من استعراض ترجمات الوثيقة ومحاولة تفكيك مضمون ما حملته من إشارات وإفاداتٍ تاريخيَّة بالنِّسبة للتاريخ الكويتي للمساعدة في إعادة إنتاج رؤى بحثيَّة جديدة تسهمُ وتساعدُ في الوصول لتكوين وجهاتِ نظرٍ أكثر شمولا وإحاطة وبعيدًا عن التَّشاكل والاختلاف.

مدخلٌ:

تعتمد صناعة التَّاريخ على عنصرين أساسيين هما: (**المؤرِّخ**) (**والوثيقة أو المستند**)، فإن كانَ المؤرِّخ هو صانع للتَّاريخ، فإن الوثيقة أو المستند هي مادة البناء وعدته، وعليه هل يمكن قراءة التَّاريخ بدون وثائق؟ السُّؤال المطروح في حدِّ ذاته يثيرُ العديدَ من الأسئلة حول المقصود بالْوَثِيقَةُ، وأهميتها بالنسبة للتَّاريخ، وإذا كان البعض يعتبر الْوَثِيقَةُ مرآة للتَّاريخ، فهل يمكن قراءة أحداث التَّاريخ قراءة مرجعيَّة دقيقة (**دون الاستناد على المخطوطات والمستندات**) المُوثقة لوقائعه والموضحة لمساراته؟

نستطيعُ أنْ نقرِّر- باطمئنان - أنَّ الوثائقَ المكتوبة تُعَدُّ المصدر الأول لأيِّ بحث تاريخي، وهي شاهد العيَان الأكثر أهميَّةً ودلالةً على نقل تفاصيل الحدَث بكل ما يملك من تفاصيل وجزئيات تاريخيَّة.

وفي اعتقادنا أنَّ مفهوم الْوَثِيقَةِ خضع لكثير من التَّنظير والبحث من قِبَلِ المؤرِّخين والفلاسفة والباحثين، فبالرجوع إلى دلالة اللفظ في بعض المصادر نجدُ أنَّ الوثيقة تُطْلَقُ عَلَى السِّجِل، وَالْمِحْضَرِ، وَالصَّكِّ، وقد اشتقت من أصل لاتيني بمعنى (**يعلم**)، وللوثيقة عدة معانٍ تتسع وتضيق حسب الحاجة، لكن المعنى الأوسع لها يروم حول «**الأوراق المكتوبة كافة والمصورات، والبقايا الأركيولوجيَّة وما يُمكن للمؤرخ أن يستعين به من مادة في كتابة التَّاريخ**»[1] كما تعرف الوثيقة بأنها « **كلُّ مكتوبٍ أو مرسوم أو مدوَّن تقرَّر حفظه لأهميته**»[2]، يُمكن على هذه الأرضيَّة إذن القول أنَّ للوثائق دورًا كبيرًا ومهمًّا في حفظ التُّراث والتَّاريخ لأيِّ أمةٍ أو شعبٍ من الشُّعوب، إذ أصبحت الوثائق اليوم علمًا يدرس ذا مكانة رفيعة في عمليَّة البحث التَّاريخي والمنهجي لكل ما يتصل بعلم التَّاريخ ويتعلق به.

موقع (الْوَثِيقَةُ والمستند) من تاريخ الكويت:

تصدرت الْوَثِيقَةُ البريطانيَّة مكانةً متقدِّمةً وأهميَّة بالغة لدى المؤرخين والباحثين الكويتيين وذلك باعتبارها المصدر التَّاريخي الأكثر دلالة بتوثيق أحداث المنطقة وماضيها، فبالنسبة لمنطقة الخليج العربي والتي ارتبطت ببريطانيا سياسيًّا منذُ القرن الثَّامن عشر الميلادي، كانت الوثائق البريطانيَّة تُعَدُّ بالنسبة لأغلب ما يتعلق بتاريخها السِّياسي أمرًا ذا أهميَّة فائقة؛ إذ أنَّ بريطانيا كانت تحتفظ بصورة مُوسَّعة عن شكل المنطقة وأحداثها سواء الأحداث السياسيَّة أو الاقتصادية بلْ وكذلك الجغرافيَّة والمجتمعيَّة[3]، لاسيما بعدْ أنْ ظهرت شركة الهند[4] الشرقيَّة والتي خرجت للنُّور في العام ١٦٠٠ حيث وصفت أرشيفات الشَّركة بأنَّها من «**أفضل مادة وثائقيَّة تاريخيَّة**

١ – للمزيد راجع هاتشلك لويس جو، كيف نفهم التاريخ، ترجمة عائدة عارف، وأحمد أبو حاكمة، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٦٦م، ص٣٠

٢ - انظر، فائز البدراني، أهمية الوثائق لتاريخنا الحاضر، ٢٠١٧

٣ – نجدة فتحي صفوة، الجزيرة العربية في الوثائق الإنجليزية، مجلد ١، ط ١، دار الساقي، بيروت، ١٩٦٦، ص ١١. كذلك أنظر: جمال زكريا قاسم، مختارات من وثائق الكويت والخليج العربي المحفوظة في دور السجلات الإنجليزية: عرض وتعليق، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، ١٩٧٢، ص ١١

٤ – للمزيد، سيد نوفل، الاوضاع السياسية لأمارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٦١، ص٤٩؛ مصطفى عبد القادر النجار، شركة الهند الشرقية ملامحها وأبرز سماتها في الخليج العربي ١٦٠٠– ١٨٥٨، مجلة دراسات الخليج العربي والجزيرة العربية، العدد ١٥، السنة ٤، جامعة الكويت، ١٩٧٨، ص١٠٢.

في العالم»[٥] ، ولا شكَّ أنَّ الوثائق البريطانيَّة (باعتبارها الشاهد التَّاريخي الأقرب الذي يغطي مسار الأحداث بمختلف حقبها التاريخيَّة في الفترة التي تواجدت فيها بريطانيا في المنطقة، ستظلُّ بكل ما تحمله من إيجابيَّات وسلبيَّات الرَّافد الأهم والوريث الأكثر غنى عن غيره من الأرشيفات المماثلة).

استنادًا لما سبق يبدو التَّساؤل المنطقي أين موقع الْوَثِائقُ الأخرى من الدِّراسات الحديثة في تاريخ الكويت؟ وهل هناك ضرورة أنْ يستعينَ تاريخ الكويت بجانب الأرشيف البريطاني بأرشيفات مماثلة كالأرشيف الفارسي والرُّوسي والعثماني – والأخير- هو ما يعنينا هنا على وجه التَّحديد[٦]؟ إن الحديث عن تاريخ الكويت ولو أمعنا النَّظر بعمق لما جمع وتشكل عنه منذُ بداية رصده وتدوينه على يدِ المؤرِّخ الكويتي عبد العزيز الرَّشيد (**١٩٢٦م**) [٧] سنكتشف أنه عاني وبشكل موسع من غياب المستند والْوَثِيقَةُ التَّاريخية، بل إنَّ معظمَ الأعمال والمؤلَّفات التي تناولت تاريخ الكويت بعد الرَّشيد كالقناعي في كتابه صفحات من تاريخ الكويت (**١٩٤٦م**) والشَّملان في كتابه من تاريخ الكويت (**١٩٥٩م**) وكذلك حسين خزعل وكتابه تاريخ الكويت (**١٩٦٢م**) سنجدُ أنَّ الْوَثِيقَةَ التَّاريخية لم تمثِّل بالنسبة لهذه المؤلفات ملمحًا رئيسًا في الكتابة بها - ونحن بالطبع نتفهمُ أسباب ودوافع ذلك - لكن وللإنصاف ربما تبدو الإشارات الأولى لظهور المخطوطة والْوَثِيقَةِ وبداية الاهتمام بها وإظهارها بشكل موسَّع أنها كانت على يد المؤرِّخ الفلسطيني أحمد مصطفى أبو حاكمة في ستينيَّات القرن الماضي بعد اختياره من لجنة كتابة تاريخ الكويت١٩٥٩ والتي شكَّلها أمير الكويت السَّابق الشَّيخ صباح الأحمد الجابر الصباح[٨] والذي

٥ - راجع ، مصطفى عبد القادر النجار، المصدر السابق، ص ١٠١-١٠٢

٦ - فعلى صعيد البحث التاريخي والانساني أجدني على قناعة بأن المؤرِّخ عموما وفي عملية رصده للأحداث سواء أحداث الماضي أو الحاضر عليه أن يتنبه جيداً لضرورة إعادة بناء تصوُّر الواقع التاريخي للحدث المرصود بعد تفكيك وتحليل النصوص المدونة عنه (إن وجدت) سواء وثيقة أو مخطوطة أو مستند ، وكذلك من خلال تشكيل وتجميع المعلومات التي أفرزتها الرواية الشفهية المعتبرة من مصادرها الموثوقة والتي تأتي كضرورة هي الأخرى تساعد على القيام بعملية المقاربة والرصد الموضوعي للحدث أو الواقعة ، حتى يتم نقله إلى الأجيال نقلاً صحيحاً ، ويعد علم التاريخ أحد أكثر العلوم الإنسانية تعقيداً، فهو علم يطال جميع نشاطات الإنسان من خلال علاقته بالزمان والمكان

٧ - انظر: عبدالله محمد الهاجري، «دراسة نقدية في منهجية ومضمون النص التاريخي لكتاب تاريخ الكويت لمؤلفه عبد العزيز الرشيد» ، حوليات كلية الآداب- الحولية الخامسة والثلاثون، ٢٠١٤ م والحاصل على جائزة الدولة التشجيعية للعام ٢٠٠٥ عن الدراسات التاريخية والاثارية لدولة الكويت.

٨ - أمير الكويت الخامس عشر ٢٠٠٦-٢٠٢٠

كان يشغل وقتها منصب رئيس دائرة المطبوعات والنَّشر، إذ سعى أبو حاكمة الذي كُلِّف بكتابة (**كتاب**) عن تاريخ الكويت إلى الخروج من النَّمط التَّقليدي الذي مثَّلته المؤلَّفات المحليَّة (**السَّابقة**) لنمط جديد يُراعى متطلبات تلك الفترة التي كانت الكويت فيها مقبلةً على استحقاقات كُبرى كالاستقلال ١٩٦١م والدُّستور١٩٦٢م وقيام مجلس الأمَّة ١٩٦٣م؛ لذا ظهرت الْوَثِيقَةُ والمخطوطة عند أبي حاكمة بشكل لافت وإن كانت في الغالب تتعلَّقُ بالوثائق البريطانيَّة.

الكويت والوثائق العثمانيَّة:

بما أنه «**لا بديل عن الوثائق وحيث لا وثائق، فلا تاريخ**»[٩] تأتي دراستنا هذه لتتناول مسألة مهمَّة في تاريخ الكويت وهي مسألة (**الْوَثِيقَةُ العثمانيَّة المؤرَّخة في العام ١٧٠١م**) وذلك عبر معالجة ماورد فيها من مضمون متعلَّق بالكويت، وأسباب الحضور الباهت لها في سياق أحداث تاريخ المنطقة عمومًا والكويت خصوصًا، فاستنادًا لما جاء في فقراتها من مضامين وأحداث تتعلَّق بشكل مباشر بقضايا رئيسة لعلَّ أبرزها إشارتها المكثفة (**للعتوب**) سينصبُّ اهتمامنا في هذه الدِّراسة على تناول الْوَثِيقَةِ من عدَّة أوجه تمَّ اختيارها وهي كالتَّالي:

أولا: تعريف الْوَثِيقَة العثمانيَّة وكيفية ظهورها.

ثانيًا: ردود فعل المؤرخين على الْوَثِيقَة، وتحليل أسباب الحضور التَّاريخي الباهت لها في تاريخ الكويت.

ثالثًا: تحليل مضمون النَّص التَّاريخي المدوَّن بالْوَثِيقَة، مع استعرض أهم التَّرجمات المشهورة لُمحتواها.

أخيرًا: الخاتمة والتي تتضمنُ أهم النَّتائج التي تمَّ التوصُّل لها وتقييمها كوثيقة مؤرشفة تستطيع تقديم صورة مترابطة – بقدر الإمكان– عن أوضاع وشؤون العتوب قبل استقرارهم وتأسيسهم لكيانهم السياسي بالكويت.

٩ – لانجلو وسينوبوس، المدخل إلى الدراسات التاريخية، ترجمة ، عبد الرحمن بدوي ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٣م، ص ٥

ظهور الْوَثِيقَة العثمانيَّة المؤرَّخة في العام ١٧٠١م

افتقد التَّاريخ الكويتي وبصورة موسعة للوثيقة والمخطوطة التي لا تنتمى أو تسير في فلك السِّياسة البريطانيَّة، لكن ومع ظهور أهميَّة الوثائق عمومًا وبعض الأرشيفات كالأرشيف الرُّوسي والفارسي والهولندي والعثماني، والأخير الذي ظهر ضمن أرشيفه في العام ١٩٨٢م وثيقة مؤرَّخة في ١٧٠١م تعلَّقت وبشكل مباشر بقضية مهمة من قضايا تاريخ الكويت وهي **(العتوب)**، أصبحت دور الوثائق **(التركيَّة)** والتي تُعَدُّ اليوم ثالث أكبر أرشيفات العالم[١٠] من حيث كميَّة الوثائق التي تضمها والتي تزخرُ بكثير من المستندات والمراسلات والمخطوطات وسجلات مراسلات رجال الحكم والإدارة التي تمَّ تبادلها بينَ الولاة أو الباشوات أو المتنفذين في مراكز الولايات الخاضعة أو التي لها نفوذ عليها وبين الحكومة المركزيَّة للدَّولة العثمانيَّة في إسطنبول، خيارًا مطروحًا، يجبر الباحثين والمؤرِّخين الكويتيين (اليوم) على إعادة النَّظر في البحث في مواد هذا الأرشيف والعمل عليه[١١].

وبخصوص الْوَثِيقَة **(محل الدِّراسة)** يمكن اعتبار أن الدكتور علي أبي حسين هو أول من كشف عن هذه الْوَثِيقَة والتي أرَّخت بالعام ١٧٠١م وذلك حين أدرجها للمرَّة الأولى في مجلة **(الْوَثِيقَة البحرينيَّة)** في العام ١٩٨٢م، وذلك في بحثه المعنون **(دراسة في تاريخ العتوب)** والذي قال عنها فيه «**ساقنا البحث إلي وثائق باللغة العثمانيَّة بخطها العربي إذ عثرنا في أرشيف رئاسة الوزراء العثماني في مدينة إسطنبول في دفتر المهمة رقم ١١١ وعلى الصفحة ٧١٣منه على وثيقة مؤرَّخة في ٢١ رجب ١١١٣هـ الموافق ٢٣ كانون أول – ديسمبر– سنة ١٧٠١م أرسلها والي البصرة علي باشا إلى السُّلطان العثماني والصدر اعظم بإسطنبول**» مستكملا بالقول «**صورة الْوَثِيقَة مع ترجمتها في نهاية البحث**» وبهذا يعد **(أبا حسين)** أوَّل الباحثين الذين أدرجوا الْوَثِيقَةَ في مسار البحث التَّاريخي المعاصر حين أشار لها لأوَّل مرَّة مدرجًا لها عدَّة ترجمات باللغة العربيَّة[١٢].

١٠ – الأرشيف العثماني، نجاتي آقطاش وعصمت بينارق؛ ترجمة صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، ص ٣-٣٤

١١ – للمزيد راجع، محمود عباس حمودة، الوثائق العثمانية، دار غريب، القاهرة، ١٩٩٩م..

١٢ – ص ٨٣، راجع علي أبا حسين، ، مجلة الْوَثِيقَةُ، وثيقة أرشيف رئاسة الوزراء العثماني في مدينة اسطنبول دفتر المهمة رقم ١١١ صفحة ٧١٣ و المؤرخة في ٢١ رجب ١١١٣هجرية – ٢٣ ديسمبر ١٧٠١ ميلادية ـ العدد الاول، السنة الاولى رمضان ـ ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م

والحقيقة أنَّ هذا الظُّهور لم يشكِّل وقتها إشكاليَّة في سياق البحث التَّاريخي إلا من خلال الاستئناس بما ورد فيها من معلومات عن طبيعة الظُّهور التَّاريخي للعتوب في المنطقة، وهي قضية الدِّراسة التي كان يعالجها أبو حسين في دراسته، وفي اعتقادنا – أنَّ السبب في ذلك يرجع بشكل رئيس إلى أن أبا حسين لم يتطرَّق بشكل موسع لعرض نصوص الْوَثِيقَة أو تحليل ما جاء بها من مضمون تاريخي لا سيما وأنَّ الْوَثِيقَةَ لم تشرِ للكويت صراحةً ولم يرد فيها ذكر لها، إضافةً إلى ذلك أن أبا حسين لم يتطرَّق للحديث عن أهمية الْوَثِيقَة بالنِّسبة لتاريخ الكويت إذ أنه أغفل الإشارات التي تحملها بالنِّسبة لها ونعني الكويت، موجهًا جلَّ اهتمامه بقضيَّة (**العتوب**) وكيفية استقرارهم بعد نزوحهم من المناطق التي سكنوها.

لاحقًا وبعد نشر علي أبي حسين دراسته سرعان ما بدأ الباحثون والمؤرِّخون في طرح الْوَثِيقَةِ كقرينة تاريخيَّة ومناقشة ما جاء في مضمونها ومن ثَمَّ بدأت الْوَثِيقَةُ تتسرب بصورة تدريجيَّة في الكتابات والمؤلفات اللاحقة خاصةً بعد أن ظهرت لها أكثر من ترجمة (**عربيَّة**)، الغريب أنَّ هذا الأمر (**ونعني وجود أكثر من ترجمة**) بدلا من أن يخدم الْوَثِيقَة عمل على إضعافها، بل وزاد من التوجس بشأنها وجعلها محط شكٍّ وريبةٍ.

وفي العام ٢٠٠٤ قام الشَّيخ الدكتور سلطان القاسمي بإصدار مؤلفة التَّاريخي (**بيان الكويت سيرة حياة الشَّيخ مبارك الصُّباح**)[١٣] ، حيث استخدم القاسمي الْوَثِيقَةَ في مؤلفه بشكل جعلها تبدو نسقًا أصيلا للبدايات الأولى لظهور (**العتوب**) في الكويت، وهذا الأمر تحديدًا ربما ما جعلنا نلتفتُ بأهمية مضاعفة لكتابه إذ أنَّ القاسمي لم يدرج الْوَثِيقَةَ كبنية (**تاريخيَّة**) مقتطعة ونعني إيرادها في شكلها الأصيل والتَّعليق عليها بالرَّفض أو القبول (**كباقي المؤلفات التي تناولتها**)، بل إنَّه سحب النَّص التَّاريخي المتعلق بالعتوب في الْوَثِيقَةِ ليبدو وكأنه في المستوى المنهجي الأصيل لسياق أحداث ظهورهم في الكويت، وذلك بالرَّغم من أن أبا حسين نفسه لم يشرْ لهذا المعنى.

١٣ – الشيخ سلطان بن محمد القاسمي، حاكم الشارقة إمارة الشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة

على أيَّة حال وفي ضوء استعراضنا لأوائل المؤلَّفات المهمَّة التي أدرجت الْوَثِيقَة العثمانيَّة في سياق البحث التَّاريخي يُمكن النَّظر كذلك بشيء من الأهميَّة إلى كتاب (**نشأة الكويت**) ب . ج سلوت في العام ٢٠٠٣ والذي سبق مؤلف القاسمي بعام واحدٍ، حيث تناول سلوت والذي عملَ على وثائق الحكومة الهولنديَّة المركزيَّة وتولَّى الإشراف على الوثائق المتعلقة بما قبل عام ١٧٩٥م[١٤]، تناول الوثيقة قائلا: (**وثيقة عثمانيَّة يعود تاريخها إلى العام ١٧٠١م ولقد كانت تلك الْوَثِيقَةُ موجودةً منذُ فترة ما لكنها لم تلقَ تفسيرًا سليمًا حتى الآن**) ويبدو أن الوثيقة التي أفرد لها سلوت حوالي ثلاث صفحات[١٥] لم تستطع أن تأخذ لها مشهدًا موسعًا ضمن سياقات البحث التَّاريخي الذي حاول من خلاله البحث عن أولى الإشارات التاريخيَّة للعتوب والكويت في مؤلفه، بل إنَّه لم يجازف في التَّعرض لها إلا من خلال الاستناد لبعض القرائن والمخطوطات الأخرى مثل إشارة (**أوتر**[١٦] **في العام ١٧٤٢**) و (**مخطوطة مرتضى بن علوان ١٧٠٩م**[١٧]) ، ما يلفت النَّظر أن سلوت أقر بالقول: « **إن علي أبا حسين هو أوَّل من أوردها**» ويقصد (**الْوَثِيقَة**).

تحت نفس تلك المؤثِّرات أتى كتاب (**الكويت تواجه الأطماع**) والذي أصدره مركز البحوث والدِّراسة الكويتيَّة في العام ١٩٩٨م لمؤلفه الدكتور يعقوب يوسف الغنيم، والذي يعتبر أحد أكثر المؤلفات التي وضعت الْوَثِيقَة موضع الشَّك أو (**الرَّفض**) على وجه الدِّقة ، حيث انتقلت الْوَثِيقَةُ العثمانيَّة من مجرد العرض والظُّهور إلى مشهد (**الشَّك وعدم التَّسليم بما جاء فيها**) بعد أن أفرد الغنيم للمخطوطة عدَّة صفحات[١٨] وقام بعرض مضمونها (**المترجم**) من مجلة الْوَثِيقَة البحرينيَّة ، مدرجًا (**التَّرجمة الأولى**) الخاصَّة بخليل ساحلي أوغلو، ومن ثَمَّ أدرج الغنيم أيضًا ترجمة أخرى لها وإن كانت بدون توقيع للمترجم لكنَّها على حدَّ (**علمنا**) كانت (**لأحمد إغراقجة والسيدة زليخة**)، ومن ثَمَّ قام بعد عرض التَّرجمتين بالتعليق على ما كتبه

١٤ – والذي أُتيح له الحصول على كمية هائلة من المعلومات التي تتعلق بالكويت وبمنطقة الخليج العربي عامة في هذا الوقت.

١٥ – من ص (١١٦حتى١١٩)

١٦ – Jean Otter ١٧٠٧–١٧٤٨ م أحد الرحالة الذين كتبوا عن المنطقة

١٧ – انظر رحلة مرتضى بن علوان إلى الأماكن المقدسة والإحساء والكويت والعراق ١١٢٠/ ١١٢١هـ – ١٧٠٩م، دراسة وتحقيق سعيد بن عمر آل عمر، كلية التربية، جامعة الملك فيصل، الإحساء، سلسلة إصدارات مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية، ١٩٩٧م، ص ٢٩

١٨ – بداية من ص ١٤١

أبو حسين مبديًا ملاحظاته التي قاربت حوالي عشر صفحات والتي وجهت في معظمها لانتقاد الْوَثِيقَة وما جاء فيها.

أخيرا: تبقى الإشارة لكتاب تاريخ البحرين السِّياسي ١٧٨٣ - ١٨٧٠م للدُّكتور فائق حمدي طهبوب، والذي أدرج الْوَثِيقَةَ في كتابه سنة ١٩٨٣م أيْ بعد ظهور مجلة الْوَثِيقَة بعام واحدٍ، حيث تعرَّض طهبوب لها[١٩] بترجمة (أحمد إغراقجة والسَّيدة زليخة) قائلا: «**من خلال الوثائق العثمانيَّة ثبت أنَّ العتوبَ كانوا متواجدين في البحرين عام ١٧٠١م**» [٢٠] وللإنصاف ربما يتلمس القارئ لكتاب تاريخ البحرين السِّياسي أنَّ هناك ميلا وقبولا موسعًا من طهبوب بما جاء من إشارات وقرائن تاريخيَّة في الْوَثِيقَة، عمومًا تبقى تلك الكتابات من أوائل الإشارات التاريخيَّة المتاحة والمرصودة بالنِّسبة لهذا الظُّهور المفاجئ للوثيقة العثمانيَّة وما يتصل بها حتى اليوم.

١٩ - والتي جاءت في الملحق رقم١ ص ٣١٣
٢٠ - طهبوب، تاريخ البحرين السياسي ١٧٨٣- ١٨٧٠م، ط١ ١٩٨٣، ذات السلاسل ٣٨

شكل الْوَثِيقَة العثمانيَّة ١٧٠١م.

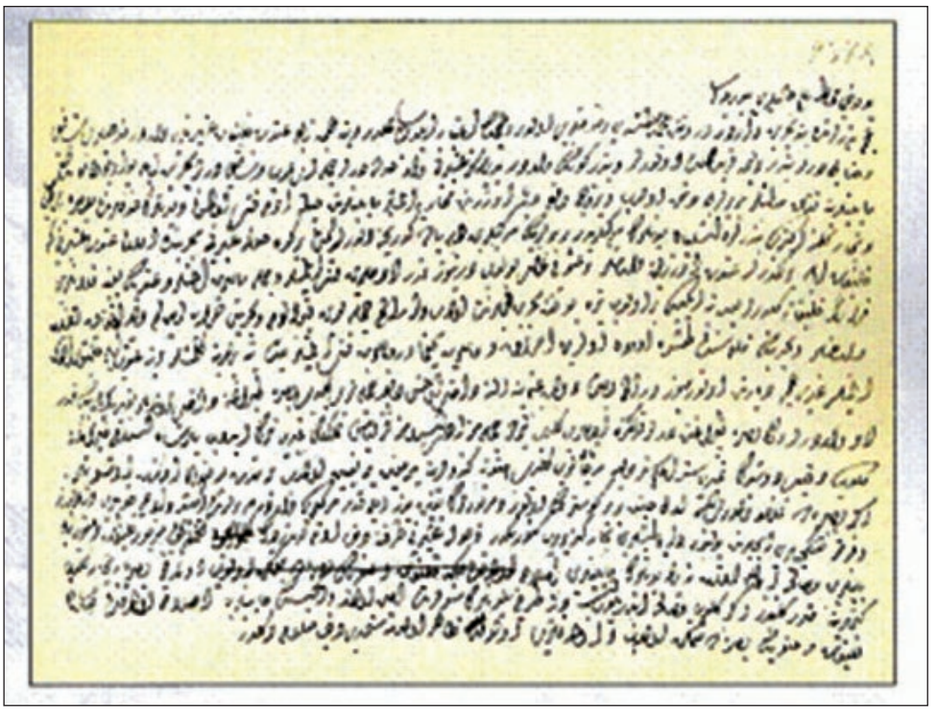

الْوَثِيقَةُ المذكورة لا نملك سوى صورة منها مدرجة في بعض المؤلفات إذ لم نطلع على أصلها أو طبيعة الأوراق المرصودة في سياقها أو المكتوبة عليها، فكلُّ ما نمتلكه عنها أنَّها رسالة بُعِثَ بها والي البصرة علي باشا والذي تولَّى في الفترة من (**١٧٠١ – ١٧٠٥**) إلى السُّلطان العثماني، يخبر بها حكومته عن نزول العتوب في بلاده.

الْوَثِيقَةُ تمَّ تأريخها بتاريخ الثَّاني من رجب سنة ١١١٣هـ/ ١٧٠١م، وقد وردت في أرشيف رئاسة الوزراء العثمانيَّة في إسطنبول، في دفاتر المهمَّة، رقم الدَّفتر ١١١، الصَّفحة ٧١٣.

وكما أشرنا الْوَثِيقَة لها عدَّة ترجمات أشهرها ترجمة (**أحمد إغراقجة والسَّيدة زليخة**)[٢١]، وكذلك ترجمة (**خليل ساحلي أوغلو**)، إضافة لترجمة حديثة لأستاذ التَّاريخ (**زكريا كورشن**).

٢١ – عملت كمترجمة في الأرشيف العثماني

نص الْوَثِيقَة العثمانيَّة ١٧٠١م:

١- التَّرجمة الأولى (أحمد إغراقجة والسَّيدة زليخة).

"نحيط علمكم السَّامي أنَّ في البحرين التي يحتلها العجم(**وقتئذ**)، أناسًا على مذهبهم، وللعجم اهتمام كبير بهذا المكان ويقيم في البحرين قبيلة العتوب والخليفات ويسكنون قرب بندر فريحة وبندر كونك، وكانوا سبع أو ثماني عشائر وكلهم عرب شافعيون وحنابلة وقد حلَّت بينهم الفتنة بين أهل البحرين وهؤلاء العشائر (**هوله**) الذين يقيمون حول بندر كونك وقد قُتِلَ منهم كثيرون وكان التُّجار وأصحاب السُّفن يخافون أن يذهبوا إلى البصرة خشيةً منهم لأنَّ سفنهم تمرُّ من هذا البندر (**الميناء**) ومن رأى منهم سفينة يأخذها غصبًا. وفي أحد الأيام تقاتل العتوب والخليفات ومن معهم من العشائر الأخرى من جهة مع الهولة من جهة أخرى بتحريض من والي العجم في البحرين، وبينما كان العتوب في غفلة إذ أنقضَّ عليهم الهولة وقتلوا منهم نحو أربعمائة رجلٍ وأخذوا أموالهم وهرب من بقي منهم وبعدئذ اتَّفق العتوب والخليفات وقالوا: إنَّ العجم ألقوا بيننا هذه الفتنة؛ فلنذهب لهم ونحاربهم ونخرِّب البحرين واتَّفقوا على هذا وأتوا إلى البحرين وخربوا ما حولها وأحرقوها وأخذوا أموالهم وقتلوا رجالهم ورجعوا ومنذ ذلك اليوم اتفق العتوب والخليفات وكانوا يقولون: لا نسكن في بلاد العجم؛ لأنهم ليسوا على مذهبنا ونذهب إلى البصرة إلى حماية الدَّولة العثمانيَّة؛ فجاؤوا كلهم إلى البصرة وكانوا نحو ألفي أسرة (**بيت**) وكتب والي البصرة إلى السُّلطان في إسطنبول يقول: جاء العتوب والخليفات ومن معهم من العشائر الأخرى وقالوا: نحن مسلمون وتركنا العجم وجئنا على بلاد سلطان الإسلام والتجأنا إليه وهذا رجاؤنا؛ فإنهم يريدون أن يسكنوا البصرة ولم يعنِ الوالي لهم المكان الذي يسكنون فيه وبقوا على تلك الحال ويقول الوالي: إذا أرادوا سكنى البصرة؛ فسنعين لهم المكان ، وكان لهم نحو مئة وخمسين مركب (**سفينة**) وعلى كل مركب مدفعان أو ثلاثة مدافع وعلى كل مركب ثلاثون أو أربعون رجلا محاربًا يحمل بندقيَّة وكانوا دائمًا على المراكب وعملهم نقل التُّجار ونقل أموالهم من مكان لآخر، ويستطرد الوالي في رسالته

إلى السُّلطان بقوله: يجب أن نصلح بين القبيلتين العتوب والخليفات من جهة وبين القبائل العربية الأخرى من الهولة؛ لأنَّه إذا لم نصلح بينهم لا يُمكن أن يأتي الأتراك إلى البصرة (**يحتمل خوفهم منهم**) لأنَّ في مجيء الأتراك سيصيرُ عليهم ضررٌ أي سيصبح ضررًا على عسكر العثمانيين ثم يقول الوالي في رسالته: إذا جاء رجل كبير موفد من إسطنبول واصطلح معهم فإننا نأمن شرهم وحينئذ يسود الأمن والاستقرار هناك[٢٢].

٢- التَّرجمة الثَّانية (خليل ساحلي أوغلو).

"نحيط بعلمكم العالي أيضًا أنَّ في البحرين وهي إحدى بنادر العجم، أناس من الأعجام وعلى مذهبهم، وللعجم اهتمام كبير بهذا المكان وتقيم عشيرتي: العتوب والخليفات وهما عشيرتان تابعتان للعجم ومقرهما الأماكن القريبة من بندر دليمة (**دلمون**) وهاتان العشيرتان على مذهب الشَّافعي وقد ألقيت الفتنة بين أهل البحرين وبين هؤلاء العشائر؛ فصاروا يعادون بعضهم البعض وقد تقابلوا واقتتلوا مرارًا على وجه البحر. وقتل البعض منهم بخدعة وتعطلت ميناء البصرة؛ فلم يعد يقدمها التُّجار ولا المراكب من الخوف منهم. وغالب ما يعمل بين البنادر هنا في البحرين مراكبهم. فإذا ما لقي أحدهم مركبًا لآخر راسيًا في البحر أخذه، وقد غارت في أحد المرات في البحرين عشيرة الحولة (**الهولة**) على عشيرة العتوب وهي حليفة لعشيرة الخليفات (**الخليفة**) وأخذوهم على حين غفلة؛ فقتلوا منهم مقدار ٤٠٠ نفسًا ونهبوا أموالهم ولاذ من نجى من الباقين بالفرار فالتجئوا إلى الخليفات (**الخليفة**) وتمَّ الاتفاق بين العتوب والخليفات على أنَّ هذه هي من فتنة العجم من أهل البحرين فقالوا: هيا نسير إلى البحرين؛ فنقتل رجالهم ونخرب ديارهم وهكذا غاروا على البحرين وحرقوا البيوت الكائنة خارج القلعة ونهبوا أموالهم وقتلوا

٢٢ – أورد كذلك هذه الترجمة في مؤلفة بي جي، سلوت (نشأة الكويت) ، وفائق طهبوب (تاريخ البحرين السياسي ١٧٨٣-١٨٧٠م) ، ط١ ١٩٨٣ ، ذات السلاسل، ص ٣١٣-٣١٥، وهذا النص الذي ترجمة أحمد إغراقجة والسيدة زليخة، بدا من الواضح في ترجمته أنه يعتمد على صياغة المترجمين بشكل سردي حاولا فيه أدراج تصورهم الشخصي والتعليق على بعض المفردات.

رجالهم ثمَّ عادوا إلى أماكنهم واتفق العتوب والخليفات بعدها على ألا يقرَّ لهم في ديار العجم قرارٌ وقالوا: هيَّا بنا نسيرُ إلى البصرة؛ فندخل أراضي الدَّولة العثمانيَّة ونحتمي بحماها وهكذا وردوا البصرة وهم لا يزالون فيها ويبلغ عددهم مقدار ألفي بيت . وقد جاء عبدكم قاصدهم يقول: " نحن بأجمعنا مسلمون وقد تركنا ديار الفزيل باش(**كناية عن العجم للباسهم الأحمر على الرأس**) وفتناهم وجئنا ملك سلطان المسلمين دخيلين والأمر لكم.

هذا هو رجاؤهم. ولم نعيِّن لهم بعد مكانًا للإقامة؛ فسيبقون مدَّة على هذا الحال، فإذا ما قرَّ قرارهم على أن يستقروا في البصرة آملين أن نعيِّنَ لهم مكانًا يستقرون فيه. ولهم من المراكب مقدار ١٥٠ مركبًا. ولكلِّ مركب مدفعين أو ثلاثة مدافع وما بين الثلاثين أو أربعين حامل بندقيَّة، وشغلهم نقل التُّجار من مكان إلى أخر، وقد أنفذنا إلى عشيرة الحولة (**الهولة**) قصدًا ندعوهم لنصلح بينهم وبين الخليفات (**الخليفة**) والعتوب فإن ورود وقفول التُّجار من البصرة يتوقَّفُ على هذا الصُّلح. فإذا تمَّ الصُّلح؛ فسيتمُّ أمن جانب البحر شرهم. فإذا أمكن الإصلاح بينهم يظهر لدي أمر بقاء الخليفات والعتوب في البصرة فهو الآن غير معلوم[٢٣].

٣- التَّرجمة الثَّالثة لزكريا كورشن والتي جاء فيها:

«بخصوص ذلك أحيطكم علمًا، يوجد على شواطئ العجم محلٌّ اسمه البحرين، يقوم العجم في هذا المكان بالتعرُّض لأهله بأنواع الضُّغوطات والمعاملة السيِّئة، ويهتمُّ العجم بهذا المكان اهتماما كبيرًا، هناك أيضًا عشيرتان تتبعان لإدارة العجم وهما: عشيرة العتوب وعشيرة الخليفات، من أهل المذهب الشَّافعي والحنبلي ويسكنون في مكان قريب من بندر ديلم ويوجد أيضا بندر اسمه كونك فيه سبع أو ثماني عشائر يُطلق عليهم اسم حولة كلهم عرب من أتباع المذهب الشَّافعي. أوقع البعض فتنة بين البحرين وبين هذه العشائر الثَّلاث حصلت بسببها عداوة بينهم ووقعت صدامات في عرض البحر وقُتِلَ منهم ثلاثةُ

٢٣ - الترجمة أوردها الدكتور يعقوب الغنيم في كتابه الكويت تواجه الاطماع، مركز البحوث والدراسات الكويتية، ط١، ١٩٨٨م، ص ١٤١-١٤٢، وهي مأخوذة من مجلة الْوَثِيقَةُ العدد الأول ص ١٠٣

أشخاصٍ غدرًا؛ الأمر الذي جعل التِّجارة والمهاجرين يتخوَّفون من القدوم إلى البصرة. أغلب السُّفن التي تتنقل بين هذه الموانئ في تلك المنطقة هي سفن هذه العشائر الثَّلاث. وبسبب العداوة يقومون بإطلاق النَّار على بعضهم البعض إذا تلاقوا في عرض البحر. وفي أحد الأيام قامت عشيرة حولة بمهاجمة عشيرة العتوب التي هي حليفة عشيرة الخليفات في البحرين وعلى حين غِرَّة قتلت ٤٠٠ من رجالها واستولت على جميع أموالها، وهرب النَّاجون من العتوب إلى حلفائهم من الخليفات، ثُمَّ اتَّفق الاثنان: العتوب والخليفات على أن ما حدث كان بسبب فتنة العجم الموجودين في البحرين وقالا: لم يبقَ لنا أمان في البقاء في بلاد العجم بعد الذي حصل؛ فلنذهب إلى مدينة البصرة التَّابعة للدَّولة العليَّة وبالفعل جاؤوا ودخلوا أراضي البصرة وعددهم ما يقارب ٢٠٠٠ بيت وهم الآن موجودون فيها. وقد جاء إليَّ أنا مأموركم في البصرة بعض وجهائهم والتمسوا لأنفسهم طلب البقاء قائلين: إنَّنا من أهل السُّنة والجماعة تركنا بلاد الرَّافضين، بلاد القزل باش ولجأنا إلى سلطان المسلمين للعيش في أراضيه وأنتم أعلم بما يصلح حالنا. لم يخصِّص بعد لهم مكانًا معينًا للاستيطان والأفضل أن يبقوا هكذا للنَّظر إن كانوا سيبقون في البصرة بشكل دائم عندها يخصَّص لهم مكان للاقامة. يملك هؤلاء ما يقارب ١٥٠ سفينة في كل سفينة اثنين أو ثلاثة مدافع وعلى متن كل سفينة بين الثلاثين إلى أربعين مسلَّح بالبنادق عملهم هو نقل التُّجار والبضائع بين الموانئ في المنطقة. ومن أجل المصلحة واستمرار عملهم أرسلنا رجالنا إلى عشيرة حوله للتَّوسط في الصُّلح بينهم وبين العتوب والخليفات لأن بقاء الحرب بينهم سيضرُّ بالتُّجار الذَّاهبين والقادمين إلى البصرة فيما لو استوطنوا لدينا. وفي حال قدوم عشيرة المذكورة وبتحقيق الصُّلح فإنَّ البحر والسَّواحل سيأمن من شرِّهم. وبعد عقد الصُّلح سيتبيَّنُ؛ إنْ كانت العتوبُ والخليفات ستستوطنان البصرة أم لا ولكنَّ هذا غير معلوم الآن[٢٤].

٢٤ – ترجمة: الأستاذ الدكتور/ زكريا كورشون ـ والذي زار الكويت في العام ٢٠٠٦ وذلك ضمن الموسم الثقافي لدار الآثار الإسلامية والقى هناك محاضرة باللغة العربية تحت عنوان «أهمية الوثائق العثمانية في تاريخ بلدان الخليج »، أنظر كذلك كتاب رحلة عبر الجزيرة العربية ١٨١٩م لسعود بن غانم بن جمران العجمي كذلك يمكن النظر إلى تاريخ القبائل العربية في السواحل الفارسية ، لجلال خالد الهارون ،٢٠٠٨، ص١٥٣

التَّرجمات السَّابقة – وللإنصاف – كانت تدور في فلك مضمون واحدٍ وإن وجدت بعض الاختلافات في الألفاظ والمفردات، وهذا نتفهم دوافعه وأبعاده، فلكلِّ مترجم مفرداتٌ وطريقة خاصة به في صياغة الجمل والفقرات، وعليه بالنِّسبة لنا تمثِّل هذه الاختلافات أمرًا متقبَّلا ومفهومًا، بل المؤرخون عمومًا معتادون على التَّعامل معه بهذا الشَّكل.

ليس من المفاجئ إذن أنْ نتقبَّل طبيعة هذا الاختلاف في التَّرجمة حتى مع بعض الأخطاء اللغويَّة والنَّحوية[٢٥]، بل ربما نجدُ أن هذا يمنح أهميَّة – أكبر – لا أقل للوثيقة، فالأمرُ متعلق في الأساس بالمضمون وليس المفردات أو الألفاظ.

الْوَثِيقَةُ العثمانيَّة في مرمى ردود فعل المؤرخين:

تمثِّل الْوَثِيقَةُ والمستند التَّاريخي قضايا حساسة في تاريخ أيِّ أمة أو شعب من الشُّعوب؛ لذا فإنَّ البعض من الوثائق والمستندات تظلُّ تحت مرمى الانتقاد والتَّشكيك منْ قِبَلِ المؤرِّخين والباحثين في الكثير من الأحيان مالم تظهر قرائن ودلائل تدعِّمُ أو تساندُ، وربما علينا الاعترافُ أنَّ التَّحدي الذي واجهه المؤرِّخون والباحثون وهم يتصدون للوثيقة العثمانيَّة كان تحديًّا غريبًا إذ لم يستطع الباحثون والمؤرخون التَّعامل مع الْوَثِيقَة إلا من خلال مرتكزين (**الأول**): المتقبِّل لها، (**والثَّاني**) الرَّافض أو المشكِّك في صحتها.

أولا: تشكيك ومعارضة:

كان في معسكر المعارضين والمشكِّكين (الدكتور يعقوب يوسف الغنيم، وذلك بعدَ أنْ أفردَ لها تحليلا معمَّقًا في كتابه حاول تفنيد كثير ممَّا جاء في مضمونها معتبرًا أنَّ بعض ما حوته مغالطات تاريخيَّة والبعض الآخر غموض لا تفسير لهُ[٢٦]، كذلك الأستاذة الدُّكتورة ميمونة الصَّباح أفردت لها عدَّة صفحاتٍ متناولة إيَّاها بالشَّرح والتَّحليل مشيرة: « **إنَّها– إن صحت– تؤكِّد على مجيء الشَّيخ صباح الأوَّل إلى العثمانيين بعد استقرارهم في الكويت؛ لأخذ الأمان**»[٢٧]. نلمسُ أيضًا نفس التوجُّه عند بي جي

٢٥ – علينا أن نتذكر هنا ان المترجمين ليسوا عرب بل أتراك.
٢٦ (الكويت تواجه الأطماع) من ص ١٤١ حتى ١٥٤
٢٧ – للمزيد انظر: ميمونة الصباح، الكويت حضارة وتاريخ، ج١، ط ٤، ص ٧٨ ـ ١٠٠ .

سلوت[٢٨] والذي قلَّل من شأنها وأبدى توجسًا نحو القبول بها [٢٩]، إضافةً لذلك هناك من رأى فيها مغالطات وعدم أهميَّة كالشِّيخة (**مي محمد آل خليفة**)[٣٠].

ثانياً: تقبُّل ورضا:

على الجانب الآخر هناك من تقبَّل الْوَثِيقَةَ ورضي بها في سياقها التَّاريخي العام، يستوقفنا في هذا الجانب الرضا والقبول (**علي أبا حسين، وسلطان بن محمد القاسمي**) وكذلك (**فائق طهبوب**).

والحقيقة أنَّنا وبعد مطالعة آراء الرَّافضين والمتقبلين للوثيقة ربما تقودنا الملاحظة كذلك للقول: إنه لا يوجد شكٌّ – تقريبًا– في أنَّ هذا الانخراط من قِبَل المؤرِّخين والباحثين في النِّقاش حولها لم يكن هدفه محاولة (**الرَّفض أو القبول**) فقط بل إنَّ النَّاظر وبعمق فيما حوته الآراء المختلفة للطرفين حول الوثيقة سيجدُ أنَّها بجانب محاولات التقصِّي واستعادة المعلومات الواردة فيها كانت هناك أيضًا محاولات أخرى للدَّفع نحو رؤى ومعانٍ جديدة في المضامين والدَّلائل التي حملتها تلك الْوَثِيقَةُ.

الغريب أنَّ الطَّرفين أيضًا وفي هذه القراءات المتشاكلة عن الوثيقة كانوا – بقصد أو بدون قصد– يعكسون إشاراتٍ مهمَّة وهي أن الوثيقة بالفعل تحوي وتمتلك الكثير من الأدلة (**المجزأة**) المتاحة، وأنَّه من الممكن تتبُّع اتجاهات أوسع نطاقًا في تاريخ بعض الأحداث عن طريقها دون الوقوف في معسكر (**الرَّفض أو التأييد**) إضافة لتتبع ومراجعة أبعاد جديدةٍ في سياق رأب وسد فجوات لازال تاريخ الكويت يعاني منها.

الوثيقة العثمانيَّة النَّص أم المضمون؟

تمَّ تناولُ الْوَثِيقَة العثمانيَّة من خلال عدَّة مصادر بصور ومشاهد مختلفة، إذ تنوَّعت بين من ساقها بطولها (**كأبي حسين، وفائق طهبوب، ويعقوب يوسف**

٢٨ – بي جي سلوت ، نشأة الكويت، مركز البحوث والدراسات الكويتية ، ٢٠٠٣

٢٩ – وإن لم يرفضها بي جي سلوت، نشأة الكويت، مصدر سابق ص ١١٦ .

٣٠ – الشيخة مي محمد آل خليفة، رئيسة هيئة البحرين للثقافة والآثار انظر: كذلك جلال خالد الهارون، تاريخ عرب الهولة والعتوب، مصدر سابق، ص ٣١ .

الغنيم)، وبين من اقتصر على مقاطع منها (**كسلطان القاسمي وبي جي سلوت**)، وفي تقديرنا أنَّ الْوَثِيقَةَ العثمانيَّة واستنادًا لما هو مرصود فيها طرحت فيما تضمنته أسئلة وإشكاليَّات أكثر ممَّا قدمت من إشارات وأجوبةٍ! حيث كان المؤرخون والباحثون مجبرين على أن يتعاملوا مع ما ورد فيها بحرصٍ وحذرٍ كبيرين، كان من ضمن هذا الحرصِ والحذرِ ما يتعلَّق بما طرحته حول (**تاريخ**) ظهور العتوب وموطنهم الذي نزحوا منه – وهو في رأيي – السَّبب الرَّئيس الذي جعلها عرضة للانتقاد والتَّشكيك وهذا الحضور الرَّافض، إذ أنَّها أثارت قضيَّة أنَّ العتوب وصلوا للمنطقة في العام١٧٠١م وليس كما كان يُعتقَدُ سابقًا ونعني ما أشار له أحمد مصطفى أبو حاكمة وتبنيه تاريخ ١٧٥٢م وجعله الميلاد لتأسيس السُّلطة في الكويت، أو١٦١٣م والذي استقرَّ عليه رأي الكثير من المؤرخين والباحثين لاحقًا، كتاريخ لتأسيس إمارة الكويت، وعليه أصبح التَّصديق بصحة الْوَثِيقَة العثمانيَّة أمرٌ لا يستقيم مع هذه الإشكاليَّات (**لا السَّابقة ولا اللاحقة منها**) إضافةً أنَّ الْوَثِيقَةَ ترى أنَّ العتوب أتوا من بندر (**ديلم**[٣١]) بما يحمله أيضًا هذا الأمر من تعقيداتٍ لعلَّ أقلَّها ما سيثارُ في أمر هجرة العتوب وإعادته إلى (**مربعه الأول**) من أين أتوا؟ وأين استقرُّوا؟ قبل وصولهم المنطقة؟ وربما في هذا المستوى تحديدًا يتكشَّف الظهور الأكثر إثارةً للوثيقة أو المفاجأة التاريخيَّة كما نُسميها وهي أنَّها لم تشر (**للكويت**) صراحةً.

الْوَثِيقَةُ العثمانيَّة (التَّاريخ لا يكشف أسراره):

لا يُمكن بأيِّ حالٍ من الأحوال أنْ نغفلَ أنَّ التَّاريخ لا يعرف السُّكونَ أو الجمودَ، كما أنَّ التَّاريخ لا يكشفُ عن كلِّ أسراره؛ لذا تبقى الْوَثِيقَةُ العثمانيَّة حقيقةً مرصودةً وثابتةً، وسواء قبلنا بها، أو رفضنا ما جاء فيها، إلا أنَّ المؤرخَ عليه التَّعامل معها والنَّظر لما احتواه مضمونها بعين الاعتبار، فالْوَثِيقَةُ تحدَّثت بشكلٍ متَّزنٍ عن (**البحرين**) وكذلك العشائر التي تعيشُ في بعض مناطقها أو القرب منها، فالْوَثِيقَةُ

٣١ – من المفارقات المهمة التي يصعب تجاوزها في بعض الترجمات مثلا أن بندر ديلم بعد الترجمة أصبح (فريحة) وهي القرية الموجودة شمال قطر، في الترجمة التي أوردها فائق طهبوب.

تناولتْ كذلك العتوب والخليفات وبغض النَّظر إن كان مُسمَّى الخليفات مصحف أم (**أصيل**) إلا أن الْوَثِيقَةُ تعاملت مع الأحداث التي شاركتْ فيها العشيرتان المذكورتان إضافةً (**للهولة**) بشكلٍ مقبول، فالْوَثِيقَةُ أشارت كذلك للمذاهب التي اتَّبعتها تلك العشائر وحدَّدتها بل وحدَّدت أماكن سكنهم (في مكان قريب من بندر ديلم) كما أشارت الْوَثِيقَةُ أنَّ هذا المكان قريبٌ من مكان أو ميناء آخر هو (**كونك**) وفيه سبعٌ أو ثماني عشائر وحدَّدت أيضًا مذهبهم.

تناولت الْوَثِيقَةُ كذلك أسباب المشكلةِ التي وقعت بين العشائر المشار لها وردود الفعل عليها، كما تناولت الْوَثِيقَةُ طبيعةَ الصِّراع (**البحري**) الذي كان قائمًا بين القوى المختلفة في تلك الفترة سواء هذه العشائر فيما بينها أو بينها وبين البحرين والعجم.

الجيد كذلك أنَّ الْوَثِيقَةَ لم تتناول سياقاتٍ وأحداث مبهمة، بل كانت دقيقةً وبشدةٍ، فعلى سبيل المثالِ حدَّدت القتلى وعددَ السُّفن وعددَ الأسرِ، بل حتى عدد المدافع والعاملين عليها في كل مركبٍ لم تهملهم الْوَثِيقَةُ.

نرصدُ كذلك مستوى عالٍ في الْوَثِيقَةِ من الإيجابيَّة التاريخيَّة نحوَ هذه العشائر حيث تقول: (**لم يُخصَّص بعد لهم مكانٌ معيَّنٌ للاستيطان والأفضل أنْ يبقوا هكذا للنَّظر**) إذ يمكنُنا بسهولة إدراك أنَّ هذا التحوُّل التاريخي الحاصل في تلك اللحظات لن يكتملَ إلا إذا دار بالضرورة في فلك سلطة مركزيَّة قويَّة والمعني بها هنا العثمانيون، بل إنَّ الْوَثِيقَةَ ربطت بقاء العتوب في المنطقة بعملية عقد الصُّلح وهو الأمر الذي سيوضِّح إن كان العتوب والخليفات سيستوطنان البصرة أم لا، فالواضحُ هنا من الوثيقةِ والتَّعامل مع بعض الأحداث المهمَّة فيها والتي نستطيعُ استشفافها وإن لم تكن مكتوبةً هو أنَّ القبيلة في هذه المرحلة ونعني ما يتعلق بالعتوب والخليفات استطاعتِ الحفاظَ على كيانها كبنية مؤثِّرة في تأطير الأفراد والجماعات المنتميين لها لاسيَّما في مناطق الصِّراع المتوزِّعة بين البصرة والبحرين وبعض الموانئ والسَّواحل على الجانبين: (**العربي والفارسي**)، وهو ما أقرَّت به الوثيقة ووضحته، وإن لم يكن بشكل مكتوب.

التَّرجمات العربيَّة للوثيقة العثمانيَّة: مقاربة واختلاف!

المقاربة التي نحاول توسيع فضائها من خلال القراءة للترجمات السابقة لِلْوَثِيقَة: لا تخرجُ عن كونها محاولةً لإيجاد ممرٍّ واصلٍ بين تلك القراءات التي تنازعتها، والسعي نحو إرساء مشهد أكثر منطقيَّة تجاهها[٣٢]، وربما يتوجَّبُ علينا قبل أن نقومَ بتحليل (**مضمون الْوَثِيقَة العثمانيَّةأن نشيرُ**) أنَّنا سنعتمدُ على النَّص الخاص بترجمة (**أحمد إغراقجة والسَّيدة زليخة**) وذلك بسبب أنَّ هذه التَّرجمة تحديدًا قام بها فردين: الأوَّل أكاديمي، والثَّانية أحد مترجمي الأرشيف العثماني، لكن قبلها يُمكن إعطاء تصوُّر مبسط للقارئ عن أهم الملاحظات بين الترجمتين[٣٣] الأقدم وذلك في الجدول التالي:

٣٢ – سواء للرأي الرافض أو المؤيد

٣٣ –(إغراقجة و زليخة من جهة ، و خليل ساحلي أوغلوا من جهة أخرى)

أحمد أغراقجة	خليل ساحلي أوغلو
علمكم السامي	علمكم العالي
أناسا على مذهبهم	أناسا من الاعاجم وعلى مذهبهم
يقيم في البحرين قبيلة العتوب والخليفات	للعجم اهتمام كبير بهذا المكان وتقيم عشيرتي العتوب والخليفات وهما تابعتان للعجم
يسكنون قرب بندر فريحة وبندر كونك	مقرهما الأماكن القريبة من بندر ديلمة
سبع أو ثماني عشائر كلهم عرب شافعيون وحنابلة.	العشيرتان على مذهب الشافعي
حلَّت بينهم الفتنة بين أهل البحرين وهؤلاء العشائر (هولة)	ألقيت الفتنة بين أهل البحرين وبين هؤلاء العشائر
يقيمون حول بندر كونك.	صاروا يعادون بعضهم البعض وقد تقابلوا واقتتلوا مرارًا على وجه البحر.
قتل منهم كثيرون	–
التجار وأصحاب السفن يخافون أن يذهبوا إلى البصرة خشية منهم	وتعطلت ميناء البصرة فلم يعد يقدمها التجار ولا المراكب من الخوف منهم
ومن رأي منهم سفينة يأخذها غصبا.	فإذا ما لقي أحدهم مركبًا لآخر راسيًا في البحر أخذه
لأن سفنهم تمر من هذا البندر (الميناء)	غالب ما يعمل بين البنادر هنا في البحرين مراكبهم.
في أحد الأيام تقاتل العتوب والخليفات ومن معهم من العشائر الأخرى من جهة	–
مع الهولة من جهة أخرى بتحريض من والي العجم في البحرين	غارت أحد المرات في البحرين عشيرة الحولة (الهوله) ، على عشيرة العتوب وهي حليفة لعشيرة الخليفات (الخليفة) وأخذوهم على حين غفلة
وبينما كان العتوب في غفلة إذ أنقض عليهم الهولة وقتلوا منهم نحو أربعمائة رجل وأخذوا أموالهم وهرب من بقي منهم	فقتلوا منهم مقدار 400 نفسًا ونهبوا أموالهم ولاذ من نجى من الباقين بالفرار فالتجئوا إلى الخليفات (الخليفة)

اتفق العتوب والخليفات وقالوا: إن العجم ألقوا بيننا هذه الفتنة؛ فلنذهب لهم ونحاربهم ونخرب البحرين واتفقوا على هذا وأتوا إلى البحرين وخربوا ما حولها وأحرقوها وأخذوا أموالهم وقتلوا رجالهم ورجعوا	تمَّ الاتفاق بين العتوب والخليفات على أن هذه هي من فتنة العجم من أهل البحرين فقالوا: هيَّا نسير إلى البحرين؛ فنقتل رجالهم ونخرب ديارهم.وهكذا غاروا على البحرين وحرقوا البيوت الكائنة خارج القلعة ونهبوا أموالهم وقتلوا رجالهم ثم عادوا الى أماكنهم
اتفق العتوب والخليفات وكانوا يقولون لا نسكن في بلاد العجم لأنهم ليسوا على مذهبنا ونذهب إلى البصرة إلى حماية الدولة العثمانيَّة فجاؤوا كلهم إلى البصرة	اتفق العتوب والخليفات بعدها على ألا يقرَّ لهم في ديار العجم قرار وقالوا: هيا بنا نسير إلى البصرة فندخل أراضي الدولة العثمانيَّة ونحتمي بحماها .وهكذا وردوا البصرة وهم لا يزالون فيها
وكانوا نحو ألفي أسرة (بيت)	ويبلغ عددهم مقدار الفي بيت.
وكتب والي البصرة إلى السلطان في إسطنبول يقول:	وقد جاء عبدكم قاصدهم يقول:
جاء العتوب والخليفات ومن معهم من العشائر الأخرى وقالوا نحن مسلمون وتركنا العجم وجئنا على بلاد سلطان الإسلام والتجأنا إليه وهذا رجاؤنا فإنهم يردون أن يسكنوا البصرة ولم يعين الوالي لهم المكان الذي يسكنون فيه وبقوا على تلك الحال ويقول الوالي إذا أرادوا يسكنون البصرة فسنعين لهم المكان	نحن بأجمعنا مسلمين وقد تركنا ديار الفزيل باش(كناية عن العجم للباسهم الأحمر على الرأس) وفتناهم وجئنا ملك سلطان المسلمين داخلين. والأمر لكم . هذه هو رجائهم . ولم نعين لهم بعد مكانا للإقامة . فسيبقون مدة على هذا الحال فإذا ما قر قرارهم على أن يستقروا في البصرة آملين أن نعين لهم مكان يستقرون فيه
وكان لهم نحو مئة وخمسين مركب (سفينة) وعلى كل مركب مدفعان أو ثلاثة مدافع وعلى كل مركب ثلاثون أو أربعون رجلا محاربا يحمل بندقية وكانوا دائمًا يكونون على المراكب	ولهم من المراكب مقدار 150 مركبا. ولكل مركب مدفعين أو ثلاثة مدافع وما بين الثلاثين أو أربعين حامل بندقية .
وعملهم نقل التجار ونقل أموالهم من مكان لآخر	وشغلهم نقل التجار من مكان إلى آخر.

ويستطرد الوالي في رسالته إلى...	-
يجب أن نصلح بين القبيلتين العتوب والخليفات من جهة وبين القبائل العربية الأخرى من الهولة لأنه إذا لم نصلح بينهم لا يمكن أن يأتي الأتراك إلى البصرة (يحتمل خوفهم منهم) لأن في مجيء الأتراك سيصير عليهم ضرر أي سيصبح ضرر على عسكر العثمانيين	" وقد أنفذنا إلى عشيرة الحولة (الهولة) قاصدين ندعوهم؛ لنصلح بينهم وبين الخليفات (الخليفة) والعتوب
ثم يقول الوالي في رسالته: إذا جاء رجل كبير موفد من إسطنبول واصطلح معهم فإننا نأمن شرهم وحينئذ يسود الأمن والاستقرار هناك	فان ورود وقفول التجار من البصرة يتوقف على هذا الصلح. فإذا تم الصلح فسيتم أمن جانب البحر شرهم. فإذا امكن الاصلاح بينهم يظهر لدي أمر بقاء الخليفات والعتوب في البصرة فهو الأن غير معلوم

القراءة الضمنيَّة للْوَثِيقَة العثمانيَّة (السير نحو أبعاد المحتوى ومضمونه).

لم يكن من المستغرب أنْ نلحظ بعد قراءة نصوص التَّرجمتين السابقتين أنَّ هناك معيارًا واضحًا يميزهما وهو أن الْوَثِيقَةَ لم تترجم في شكلها العربي كترجمة نصيَّة أو بمعناها الحرفي كما نقصد، بل نلحظ أنَّ الترجمتين اتخذتا شكلا يُطلَق عليه اسم التَّعليق والتَّضمين؛ وهي تلك الكلمات والألفاظ التي حاول المترجمين التَّعليق عليها أو لفت الانتباه لها والتي في الغالب تحاول أن تتوقع الأسئلة التي ربما تدورُ في خلد القارئ، وتحاولُ أنْ تجيبَ عليها كما حدث مثلا مع بعض المفردات كـ (الحولة / الهولة) ، (**ويستطرد الوالي / ثم يقول الوالي في رسالته**) ، (**البندر / الميناء...إلخ**).

وهذا الأمر ونعني (**التعليق**) يُعَدُّ أداة لا غنى عنها للمترجم في الكثير من الأحيان في عملية تحرير النُّصوص، بما يتبيَّن معه أنَّ هذا الأمر ليس موقفًا جديدًا من الْوَثِيقَةِ العثمانيَّة، فلطالما كتب المؤرخون والباحثون عن المخطوطاتِ والوثائق المترجمة بنفس الطَّريقة والسياق، بل إنَّ في الكثير من المرات كتب المؤرخون الْوَثِيقَةَ الأصليَّة نفسها وحرروها وكتبوا التَّعليقات عليها ومن ثَمَّ وبعد فترة من الزَّمن أصبحت تلك التَّعليقات والملاحظات جزءًا من المكوِّن الأصلي للوثيقة.

عمومًا الْوَثِيقَةُ وكما سبق وأشرنا مكتوبٌ قدم من علي باشا والي البصرة في ذلك الوقت إلى العتبة العالية في إسطنبول، وكما هو معروف أنَّ البصرة لم ترتبط ارتباطًا مباشرًا بالحكم العثماني إلا في العام ١٥٤٦م وبعد عدَّة انقطاعات وفي العام ١٦٨٣م استعاد العثمانيون السَّيطرة على بغداد بعد أن استطاعوا قبلها طرد الفرس ١٦٦٧م إذ توجَّه العثمانيون لإعادة السَّيطرة على البصرة مرَّة أخرى بعد ذلك خاصَّة وأنَّ الطَّريق التُّجاري من البصرة ذو أهمية فائقة بالنسبة للعثمانيين على الطَّريق التُّجاري بين الشام (**حلب**) تحديدًا لنجد أنَّ هناك في تلك الفترة إشاراتٍ تاريخيَّة تفيدُ بتولي علي باشا ولاية البصرة في العام ١٧٠١م ممثلا للعثمانيين هناك[٣٤].

ترى الْوَثِيقَةُ أنَّ على باشا لجأ لحكومته لكي يعلمها ويأخذ رأيها في أمر عشائر العتوب التي أتت المنطقة تطلب الإذن للاستقرار تحت حماية الدَّولة العثمانيَّة، وبيَّن علي باشا أنَّ سبب لجوء العتوب مرده صراع قام بين هذه العشائر وبين البحرين الواقعة تحت نفوذ العجم في تلك الفترة والمقصود الفرس.

بيَّن والي البصرة موضحًا للباب العالي أنَّ العجمَ يولون البحرين اهتمامًا، لكنها في نفس الوقت تعاني ضغوطًا ومعاملة سيئة منهم، مسترسلا أنَّ عشيرتي: العتوب والخليفات يسكنون بندر ديلم وبندر ديلم أو بلدة ديلم المشار إليها بالْوَثِيقَةِ هي ميناء يقعُ على السَّاحل الشَّمالي الغربي للخليج العربي في منتصف الطَّريق بين «أبو شهر وعبدان» على الجانب الفارسي[٣٥]، هنا تحديدًا ربما تواجه الْوَثِيقَةُ تحديًا مهمًّا وهو المتعلق بصحة أو عدم صحة سكن العتوب والخليفات في بندر ديلم أو بالقرب منه، فالتساؤُل الذي يطرح نفسه: ماذا لو صحَّت هذه الجزئيَّة؟ إذ أنَّ القبول بصحة هذه الجزئيَّة سيجعلُ المؤرِّخين والباحثين مجبرين على العودةِ لأيِّ أصولٍ مثبتة تدعِّم هذا الأمرَ وهو مالم يكن مقبولاً آنذاك لاسيَّما بعدَ أنْ سلَّم المؤرخون والباحثون بأنَّ العتوبَ قدموا من منطقةِ الهدار بنجدٍ كما هو متفقٌ عليهِ في أغلب المصادر المحليَّة والشفويَّة المتاحة حتى الآن.

٣٤ – للمزيد في هذا الأمر يمكن مراجعة ستيفن همسلي لونكريك ، أربعة قرون من تأريخ العراق الحديث ، ترجمة، تحقيق: جعفر الخياط ، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع ، ط٢، ٢٠١٧ .

٣٥ – انظر: جلال خالد الهارون، تاريخ عرب الهولة والعتوب، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ٢٠١٠، ابتداءً من ص ٢٩ .

● **خريطة توضح موقع بندر ديلم مقابل الكويت على الجانب الفارسي**

تكمل الْوَثِيقَةُ أنَّ هناك بندرًا آخر هو (**كونك**) والقريب من بندر ديلم تتواجد فيه سبع أو ثماني عشائر منهم الهولة؛ وهم عربٌ من أتباع المذهب الشَّافعي، وبذلك تكون العشائرُ الثَّلاث: العتوب، الخليفات، الهولة من ساكني الجانب الفارسي كما ترى الْوَثِيقَةُ، والتي أغفلت الحديث عن طبيعة عمل أو معيشة هذه العشائر من الهولة ولم تعتنِ بالحديث عنها إلا من خلال وسمهم بأنَّهم عرب ومن أتباع المذهب الشَّافعي (**السُّنة**).

أيضًا تورد الْوَثِيقَةُ أنَّ فتنةً وقعتْ بين البحرين والهولة منْ جهةٍ، وبين العتوب والخليفات[٣٦] منْ جهةٍ أُخرى جعلت هذه الفتنة العشائر الثَّلاث في حالة صدام مع بعضها البعض، وأن تلك الصِّدامات جعلت التُّجار والمهاجرين مهدَّدين، ويتخوفون من القدوم إلى البصرة.

٣٦ – ترى الصباح أن المقصود بالخليفات ليس آل خليفة، وأنهم من الأشاجعة من الحلف من الجلاسى من المسلم من عنزة، والخليفيات ينتسبون إلى بني عبيدة من اليمنى وهم مالكيون مثل العتوب– ميمونة الصباح ، الكويت حضارة وتاريخ، ط١ ، ص ٨٢.

حتى هذه المرحلة يُمكننا أنْ نتلمَّس كمؤرخين (**الدَّافع أو المصلحة الماديَّة**)[٣٧]، إذ ترى الْوَثِيقَةُ أنَّ التُّجار أصبحوا مهدَّدين، وهذا يعني أنَّ هناك أسبابًا أكثر عمقًا؛ ممَّا يوحي به السياق العام، وهو القلق من تأثر عملية التِّجارة وهو أمرٌ مهمٌّ نستطيع من خلاله فهم ما بني عليه من سياقات تاريخيَّة لاحقة، حيث تورد الْوَثِيقَةُ أن أغلبَ السُّفن التي تتنقلُ بين هذه الموانئ في تلك المنطقة ملك لهذه العشائر الثَّلاث» الذين يقومون بإطلاق النار على بعضهم البعض إذا تلاقوا في عرض البحر».

كما نتبيَّن من الْوَثِيقَة أنَّ العتوب والخليفات يرتبطان ببعضهما البعض بحلف دون أن تحدِّد الْوَثِيقَةُ طبيعته، وأنه وفي تطور للصراع هاجمت الهولة العتوب- دون الخليفات- في أرض البحرين، حيث استطاعت الهولة أن تقتل ٤٠٠ من العتوب، الأمر الذي سارع معه من نجا من العتوب -كما جاء بالْوَثِيقَة ـ للهرب لحلفائهم عشائر الخليفات.

وبعد المعركة، وبعد خسارة هذا العدد من رجالهم، وخسارة جميع أموالهم اتَّفق العتوب مع حلفائهم الخليفات على ترك أراضيهم في بندر ديلم، والرحيل إلى البصرة تحديدًا على السَّاحل العربي من الخليج، وتؤكِّد الْوَثِيقَةُ على أن عشيرتي: العتوب والخليفات بعد تركهم بندر ديلم يلتمسون- وبشكل رسمي- من السُّلطان العثماني البقاء والاستقرار في البصرة، وأنهم متواجدون بالفعل داخلها، بل وتعطي وصفًا لعددهم مقدرةً إياهم (**بحوالي ٢٠٠٠ بيت**)، كما تؤكِّد الْوَثِيقَةُ أنَّه لم يخصَّص لهم مكانٌ، وأنه من الأفضل أن يبقوا هكذا للنَّظر، وللإنصاف وحتى هذا المستوى نلمس أنَّ المضمون ومن حيث التَّفسير على مبدإ السِّياق المنطقي للحدث يبدو مقبولا بشكل موسع -مع احتفاظنا ببعضِ التَّساؤلات المطروحةٍ والتي سبقَ وأنْ أشرنا لها - حيث يبدو السِّياق هنا ومفاده: أنَّ الفاعلين التَّاريخيين (**العتوب والخليفات والهولة والعجم**) يتصرَّفون بكيفيَّة تتماشَى مع الوضعيَّة والأهداف التي يروم كل طرف أو جهة لتحقيقها كما أنَّ حضور العوامِل الاقتصاديَّة هنا مترافقةً مع الدَّوافع الدينيَّة والإثنية كعامل غير مباشرة في السياق لا يمكن تجاهله ولا يُمكن أن يحول بيننا وبين فهم ما خلف سطور تلك المضامين غير المقروءة في الْوَثِيقَة.

٣٧ - وهي محرك مهم في صناعة القرارات السياسية والاقتصادية في تلك الفترة

الْوَثِيقَةُ العثمانيَّة والعتوب:

نحاول هنا وبشكل معمَّق تلمُّس أدوات الفاعلية التاريخيَّة للوثيقة والتي تصفُ طبيعة عشائر العتوب والخليفات النَّازلين على أراضي البصرة، وترصد وبدقة بحسب ما جاء في الوصف أنَّ العتوب والخليفات كانوا يملكون ما يقارب ٤٠٠ مدفع تتوزَّع على الـ ١٥٠ سفينة، ومن خمسة إلى ستة آلاف رجل مقاتل مسلحين بالبنادق وربما هذا العدد وبهذا الشَّكل تضخيم غير منطقي لقوَّة العتوب إذ نحن نتحدث لو صحَّ الأمرُ عن جيش كبير ومسلَّح، وليست عشائر فقط، فالوثيقة تتحدَّث عن ثلاثين إلى أربعين مسلحًا دون أن تذكر المدنيين والرجال والنِّساء والأطفال منهم، إضافةً لـ١٥٠ سفينة وما يقارب ٤٠٠ مدفع، فهل كان الوالي أو متسلِّم البصرة يستطيع حقيقة في هذا الوقت مواجهة هذا الجيش الكبير إن رفض الباب العالي (**السلطان**) بقاؤه، وقرَّر طرده، وعدم السماح له بالبقاء بالمنطقة[٣٨]. في نفس المستوى تذكر الْوَثِيقَةُ أنَّ هناك محاولةً تجري للصُّلح بين العتوب والخليفات من جهة، وبين الهولة من جهة أخرى، وأنَّه بعد عقد الصُّلح سيتبيَّن إن كان العتوب والخليفات سيستوطنان البصرة أم لا؟ وإنَّ هذا الاستقرار المفترض غير معلوم الآن والذي يبدو أنه مرهونٌ بقبول أو رفض السُّلطات في إسطنبول، عمومًا هذه الوثيقة العثمانيَّة تقابلها وثيقة هولنديَّة هي «لاهاي دن هاغ»، مؤرخة في ١٧٥٦م تقريبًا[٣٩] تنفي وجود العتوب في بندر ديلم، وأنَّ الخليفات (**حلفاءالعتوب**) هم من كانوا بديلم»[٤٠]، وليس العتوب، بل وحدَّدت الشُّيوخ القائمين على أمر الخليفات هناك، وذكرت أسماءهم، حيث تقول الوثيقة الهولنديَّة: « **ينتهي جون جنابة بحافة بنج الناتئة التي يقع خلفها بندر ديلم، وهو مستوطنة عربيَّة لعشيرة تُسمَّى خليفات**

٣٨ – فهذه القوة– في حقيقة الأمر هي لجيش كبير ومسلح، وليست لجيش يهرب خوفًا من قوة قبيلة مماثلة (الهولة)، بل مع عدم حساب بقية الأهالي المتواجدين على السفن، فالْوَثِيقَةُ تتحدث عن ثلاثين إلى أربعين مسلحًا دون أن تذكر المدنيين والرجال والنساء والأطفال منهم، فهل كان الوالي أو متسلم البصرة يستطيع حقيقة في هذا الوقت مواجهة هذا الجيش الكبير إن رفض الباب العالي (السلطان) بقاءه، وقرر طرده، وعدم السماح له بالبقاء بالمنطقة!

٣٩ – ظهرت الوثيقة بمجلة بريسكا ١٩٧٩ م، وقام بترجمتها ونشرها الباحث الهولندي ويلم م . فلور، مترجمة بالإنجليزية في صحيفة بيرسيكا ، حيث أوردها وترجمها للعربية إبراهيم خوري بكتابه سلطنة هرمز العربية، مركز الدراسات والوثائق، رأس الخيمة، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م ،المجلد الثاني، الوثيقة الخامسة، هولندية لاهاي داغ ويلم م . فلور، ص١٦٣– ١٨٠– ٢١٤ .

٤٠ – إبراهيم خوري، سلطنة هرمز العربية، المصدر السابق ، ص ٢٢٥ .

التي ما تزال تدين بدينها، وتُحافظ على تقاليدها، وهم فقراء يعيشون من الملاحة والغوص على اللؤلؤ، وصيد الأسماك، ومدينتهم ليست سيِّئة جدًّا بالنسبة للتِّجارة؛ لأنَّها واقعة على مسيرة يوم واحد من بهبهان المدينة الفارسية الغنيَّة»[٤١] **...وأنَّ بندر ديلم يترأسه عدَّة شيوخ»؛ الشَّيخ غنَّام...والشَّيخ طعَّان...والشَّيخ حامد»**، وهذا ينفي وجود العتوب في بندر ديلم، والمعني هنا هم الخليفات[٤٢].

كذلك مخطوطة البحراني « لؤلؤة البحرين»؛ وهي مخطوطة كتبها الشَّيخ يوسف البحراني المتوفى ١٧٧٢ م[٤٣]، حيث قدمت سياقًا تاريخيًّا يلامس وقائع وأحداث الوثيقة العثمانيَّة ١٧٠١م خاصةً ما جرى بين الهولة والعتوب، وما أحدثه العتوب من تخريب بعد مهاجمتهم للبحرين، وذلك في فترة زمنيَّة تعود إلى ما ذكرته الوثيقة العثمانيَّة١٧٠١م، حيث تؤكِّد مخطوطة البحراني أنَّ العتوب بالفعل هاجموا البحرين، وأن البحرين استعانت بالهولة لردعهم، واستطاعت الهولة في البداية كسر العتوب الذين كرروا هجومهم على البحرين عدَّة مرات؛ ففشلوا في الأولى والثَّانية، إلا أنَّهم استطاعوا في الثَّالثة دخولها، الأمر الذي استدعى تدخُّل العجم **(الفرس)**- كما يرى البحراني- لإعادة البحرين، لكن الهولة استطاعوا لاحقًا هزيمة العتوب مرَّة أخرى، ومن ثَمَّ استخلاص البحرين من أيديهم[٤٤].

حيث جاء نصُّ المخطوطة: «١١١٢هـ **(الموافق تقريبًا ١٧٠١م)** وقعت الحرب بين: الهولة والعتوب، وانكسرت البلد إلى القلعة أكابر وأصاغر حتى كسر الله العتوب، بعد فترة حاول الخوارج الاستيلاء على البحرين، وقاموا بمهاجمتها ثلاثَ مراتٍ؛ فشلت محاولتهم الأولى، والثَّانية، بعد سنة، وفي الثالثة قاموا بحصار البلد؛ لتسلُّطهم على البحر ، فالبلدة جزيرة، حتى أضعفوا أهلها، وفتحوها قهرًا، وكانت واقعة عُظمى، وداهية دهماء لما وقع من عظم القتل والسَّلب والنَّهب وسفك الدِّماء، وبعد أن أخذوها وأمنوا أهلها هربت النَّاس- سيَّما أكابر البلد - منها إلى

٤١ – جلال خالد الهارون، عرب الهولة والعتوب، مصدر سابق.
٤٢ – فهل عاد الخليفات بعد الاستقرار في الكويت بعد العام ١٧٠١م ورجعوا لبندر ديلم ومنطقة الساحل الفارسي لتذكرهم الوثيقة الهولندية بعدها بأكثر من خمسين عامًا!
٤٣ – تتناول كثيرًا من الأحداث والوقائع التاريخية للبحرين من خلال ترجمته لمشاهير رجال الحديث والعلماء بالبحرين كما جاء بالكتاب، البحراني، لؤلؤة البحرين ، ص ٥، المقدمة .
٤٤ – البحراني، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص ٤٢٨ .

القطيف»... بعد بضع سنوات؛ صارت الدَّائرة على العجم فقتلوا جميعًا، وحرقت البلاد،...ولكن العجم استطاعوا ردَّ البحرين بعد فترةٍ ..... ولكن هذا الحال لم يدم طويلاً حيث اتَّفق خراب البلد ... باستيلاء الهولة عليها.(٤٥)

وربما تكون مخطوطة البحراني تدعم بشكل جزئي أحداث الوثيقة العثمانيَّة، لكن في حقيقة الأمر تبدو مخطوطة البحراني نفسها إحدى أدوات استكمال المشهد التَّاريخي المؤكِّد لحقيقة أنَّ العتوب لم يكونوا ببندر ديلم، فالأحداث التي وردت في مخطوطة البحراني أغلبها بعيدة كلَّ البعد عن أيِّ ذكر لمجيء العتوب من السَّاحل الفارسي، بل وحتى الخليفات اختفوا أيضًا من أحداث البحراني في هذه الواقعة التي نتأكَّد كذلك من خلالها من أنَّ العتوب استطاعوا في فترة من الفترات فتح البحرين، والاستيلاء عليها. أخيرا: يُمكن القول: إن القراءةَ المعمَّقة للوثيقة العثمانيَّة١٧٠١م تؤكِّد لنا حقيقةً أنَّ المشهد الدَّقيق لعام تأسيس الكويت وظهور العتوب بالمنطقة لن يظهر استنادًا إلى مصدر دون آخر، فالوثيقة العثمانيَّة تكملها وتدعمها مخطوطة البحراني، في حين تشير الوثيقة الهولنديَّة إلى واقع دقيق للخليفات، وأنهم هم من كانوا ببندر ديلم، وليس العتوب، كذلك فإن مخطوطة مرتضى بن علوان ١٧٠٩م تؤكِّد على وجود الكويت مستقرة وعامرة.

إذًا ومع اشتداد المتناقضات حول الوثيقة العثمانيَّة يجب أنْ ندرك أنَّنا نتحدَّث عن فترة مشحونة ومتشابكة سياسيًّا، بل وللتَّاريخ ذاته، حيث إن النقلة التاريخيَّة التي تحقَّقت مع ظهور الوثيقة العثمانيَّة والتي تمثَّلت في ما يتعلق بعملية تحديد تاريخ تأسيس الكويت، أو حتى قضية وطن العتوب الأصلي، أصبحت مرتبطة- إلى حدٍّ بعيدٍ - بما طرحته هذه الوثيقة التاريخيَّة من مضامين فرضت على المؤرخين التَّعامل مع ما جاء فيها بشكلٍ جديد، ومستوى يُراعي في تحليله وتناوله المواءمة والتَّوفيق بين الجديد والقديم، أيضًا مستوى يقوم على التَّعامل مع المعرفة التاريخيَّة المرصودة، والتي لم تقدِّمها الوثيقة العثمانيَّة فحسب بل وأيضًا الوثائق والمخطوطات الأخرى المماثلة والتَّعامل معه بمنهج نقدي / إشكالي؛ وذلك لإعادة استحضار وبناء وقائع تاريخيَّة في سياق تصور الزَّمن التَّاريخي السليم لها، ولنصل من خلالها إلى حقائق مقاربة وبشكل دقيق ومنظَّم.

٤٥ - البحراني، نفسه، ص ٤٢٧، ٤٢٨ .

الخاتمة والنَّتائج:

ما قمنا باستعراضه سابقًا (وبشكل مبسَّط) هو أغلب ما يتعلَّق بمضمون الْوَثِيقَة العثمانيَّة والتي لجأنا في عملية تحليلها مِن هذا المنظور إلى فَهم الحدَث كنتاج لتصرفات تاريخيَّة مرصودة قام بها الفاعِلون في مشهد الْوَثِيقَة وضمن ظروف معيَّنة لم تهملها الْوَثِيقَةُ، بل رصدتها وتركت أمر ما جاء فيها للمؤرخين والباحثين؛ ليقوموا بالبَرهنة والاستدلال سواء الرافض أو المتقبِّل، وبالتَّالي تظلُّ الْوَثِيقَةُ العثمانيَّة المؤرَّخة في العام ١٧٠١م حقل تاريخي فائق الأهميَّة والخطورة في نفس الوقت، حقل قادر على نقل أجزاء ومسلَّمات في التَّاريخ الكويتي مِن مستوى الإقرار والتَّسليم إلى المستوى إعادة البحث والتَّنقيب القائم على مزيد من المنهجيَّة العِلميَّة والنَّص الموثَّق .

أيضًا جاء الانتقال مِن العرَض النَّظري للوثيقة العثمانيَّة إلى العرض التَّحليلي لها، ومحاولة تفكيك مضمون ما حملته من إشارات وإفادات تاريخيَّة بالنِّسبة للتَّاريخ الكويتي خصوصًا وأحداث الماضي المتعلق بالعتوب عمومًا ليحملَ لنا في طياته ثلاثة مفاهيم رئيسة تتنازعُ فيما بينها الإشكال والتخاصم حول الوثيقة، أوَّل هذه الإشارات إشكالية (**الزَّمن**) الذي حملته الْوَثِيقَةُ: وهو تاريخ١٧٠١م بما يحمل معه ضمنيًّا دلالاتِ التَّصادم التَّاريخي مع مسلَّمات وقراءات النشأة والتَّأسيس، فهذه الإشكاليَّة التي ستجبر المؤرخين النَّظر بعين الاعتبار للآراء القائلة بضرورة إعادة النَّظر في الكثير ممَّا طرح في سياق عمليات تفسير النَّشأة والتَّأسيس بالنِّسبة للكويت لاسيَّما ما تمَّ وضعه افتراضيًّا من قِبَلِ المؤرِّخ أحمد مصطفى أبو حاكمة والمعتمد في الأصل على الْوَثِيقَة والمستند البريطاني.

الإشكاليَّة الثانية وهي: (**طبيعة الربط الذي أشارت له الْوَثِيقَةُ بالنِّسبة للعتوب مع السَّاحل الفارسي**) والإيحاءات التي حاولت ربط العتوب بساحل فارس على الرغم من اعترافها بأنَّهم عرب بل وحدَّدت مذهبهم.

أخيراً: (**مفاهيم الصِّياغة أو البناء التَّاريخي للوثيقة**) والتي من خلالها يُمكن الحصول على إجابات تاريخية ممنهجة وفق الإشكال الذي طُرِح والفرضيَّات التي

وضعت؛ والمتعلق بأهم مسلمتين في تاريخ الكويت وهو: (**التَّأسيس والنَّشأة من جهة، وموطن العتوب والهجرة المتعلِّقة بهم من جهةٍ أخرى**)؛ فالرسم التَّفسيري لرواية الْوَثِيقَة لا يتوافقُ تمامًا مع قراءات المؤرِّخين بشكل كبير خاصَّة ما يتعلَّق بالإطار؛ إذ بينهما العديدُ مِن الفجوات التاريخيَّة التي لا يتأتَّي حتى اليوم لنا رأبها بسهولة وهذا يُثير مسألة مدى القطيعة والاستمراريَّة التي تطبع كلَّ حِقبة، ولْنتحرَّر قليلاً مِن أصفاد التَّاريخ الشَّفوي، ولنغصْ في أعماق التَّاريخ الموثَّق الذي لا يَروي الأحداث بشكل تفصيلي فقط بل وبشكل مدوَّن أيضًا.

قائمة المصادر والمراجع:

- أبا حسين، علي، مجلة الْوَثِيقَة، العدد الأول، السَّنة الأولى١٩٨٢م.
- إبراهيم خوري وأحمد جلال التَّدمري، سلطنة هرمز العربيَّة، المجلد الثَّاني، ط١، مركز الدِّراسات والوثائق، رأس الخيمة، الإمارات العربيَّة المتحدة، ٢٠٠٠م.
- بي جي سلوت، نشأة الكويت، مركز البحوث والدِّراسات الكويتيَّة، ٢٠٠٣م.
- جلال خالد الهارون، تاريخ القبائل العربيَّة في السَّواحل الفارسيَّة ،٢٠٠٨م.
- جلال خالد الهارون، تاريخ عرب الهولة والعتوب، الدَّار العربيَّة للموسوعات، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.
- جمال زكريا قاسم، مختارات من وثائق الكويت والخليج العربي المحفوظة في دور السِّجلات الإنجليزيِّة: عرض وتعليق، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٧٢م.
- ستيفن همسلي لونكريك، أربعة قرون من تأريخ العراق الحديث، ترجمة، تحقيق: جعفر الخيَّاط ، دار الرافدين للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع ، ط٢، ٢٠١٧م.
- سيد نوفل، الأوضاع السياسيَّة لأمارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة، الطَّبعة الثَّانية، القاهرة ١٩٦١م.
- طهبوب، تاريخ البحرين السِّياسي ١٧٨٣- ١٨٧٠م، ط١ ، ذات السَّلاسل ١٩٨٣م.
- عبدالله محمد الهاجري، "دراسة نقديَّة في منهجيَّة ومضمون النَّص التَّاريخي لكتاب تاريخ الكويت لمؤلفه عبد العزيز الرَّشيد" ، حوليات كلية الآداب- الحولية الخامسة والثلاثون، ٢٠١٤م.
- فائز البدراني، أهمية الوثائق لتاريخنا الحاضر، ٢٠١٧م.
- لانجلو وسينوبوس، المدخل إلى الدِّراسات التاريخيَّة، ترجمة، عبد الرحمن بدوي، القاهرة، دار النَّهضة العربيَّة، ١٩٦٣م.
- محمود عباس حمودة، الوثائق العثمانيَّة، دار غريب، القاهرة، ١٩٩٩م.

- مصطفى عبد القادر النَّجار، شركة الهند الشرقيَّة ملامحها وأبرز سماتها في الخليج العربي ١٦٠٠ – ١٨٥٨، مجلة دراسات الخليج العربي والجزيرة العربية، العدد ١٥، السَّنة الرابعة، جامعة الكويت، ١٩٧٨م.
- ميمونة الصُّباح، الكويت حضارة وتاريخ، ج١، ط ٤، د.ت
- نجاتي آقطاش وعصمت بينارق، الأرشيف العثماني، ترجمة صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتَّاريخ والفنون والثقافة الإسلاميَّة.
- نجدة فتحي صفوة، الجزيرة العربيَّة في الوثائق الإنجليزيَّة، مجلد١، ط ١، دار السَّاقي، بيروت، ١٩٦٦م.
- هاتشلك لويس جو، كيف نفهم التَّاريخ، ترجمة عائدة عارف، وأحمد أبو حاكمة، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٦٦م.
- يعقوب يوسف الغنيم، الكويت تواجه الأطماع، مركز البحوث والدِّراسات الكويتيَّة، ط١، ١٩٨٨م.

الكويت في مذكرات مدحت باشا
قراءة نقديَّة تحليليَّة لمعطيات النَّص التَّاريخي

أ. حصَّة فالح العجمي
مدرس مساعد ـ قسم التاريخ ـ جامعة الكويت

تمهيد:

تمثل أزمة المصدر التَّاريخي المكتوب أحد أبرز صعوبات تدوين تاريخ وطني في الكويت، فبالإضافة إلى ما تطرحه إشكاليَّات غياب المصدر التَّاريخي الوطني من تعقيدات في تأريخ الحقبة الحديثة، فإنَّ المؤرخَ يواجه مشكلة تشظي المادة التَّاريخية وتناثرها في مصادر أجنبيَّة عديدة، وهو الأمر الذي يملي عليه تبعًا لذلك، التَّعامل مع هذه الوضعيَّة بمضاعفة جهده البحثي، فضلًا عن الأخذ بعين الاعتبار ما تفرضه طبيعة تلك المصادر من حيثُ اختلاف مضمونها وتفاعلها مع خلفيَّاتها السياسيَّة وتنوع منابعها وتقاليدها الثقافيَّة والاجتماعيَّة، وستكون بطبيعة الحال لمخاطر التسرُّع والتَّسليم بالاعتماد على مثل هذه المصادر التَّاريخية تأثيرها السَّلبي على عمليَّة تدوين تاريخ وطني، وسيُظهر ذلك العجز عن فهم سليم لأحداثه التاريخيَّة وقصور في عمليتي : التَّفسير والتَّحليل لوقائعه في حال لم يُلتزم بتطبيق منهجيَّة نقديَّة علميَّة على المصدر التَّاريخي.

وعليه يُمكن القول بأنَّ خصوصيَّة الحالة التي يواجهها المؤرخ كشفت عن قضيَّة أساسيَّة تمثَّلت بما يعرف بإشكاليَّة المصدر والتي تتمحور حول ندرة المصدر التَّاريخي المحلي المكتوب إن لم يكن انعدامه، وثانيًا بالطَّابع الخاص لنصوص المصادر الأجنبيَّة، ولما كان سعي الأخير يستهدفُ استجلاء ورصد الحقيقة التاريخيَّة فقد دفع

وهو على هذا الحال نحو تجاوز هذه الصعوبات بتطوير أدواته البحثية؛ لتتناسب منهجيًّا مع عمليات النَّقد التي يمارسها على ما أتيح له من مصادر تاريخيَّة، وقد ظهرت على السَّاحة الأكاديميَّة في الآونة الأخيرة نماذج من المؤرخين الوطنيين عكست هذا التوجُّه البحثي، وهي محاولات واعية منهم، اقتضت ضرورة إعادة النَّظر في التَّاريخ الوطني وقراءته قراءة جديدة؛ لتشكِّل باعتمادها على تقييم المصدر التَّاريخي وتقديم النَّقد والتَّحليل المناسب له، أسس لمدرسة تاريخيَّة نقديَّة جديدة.

وضمن سياق هذه التوجُّهات نقدِّم ورقة بحثيَّة تناولت أحد المصادر المكتوبة المهمَّة في تاريخ منطقة الخليج والجزيرة العربية، وهي ما عرف بـ (مذكرات مدحت باشا) التي نعتقدُ بأنَّها ستقدِّم الكثيرَ لتَّاريخ الكويت الحديث والمعاصر، ولعلَّنا نستلحق هذه الاعتبارات بأخرى دفعتنا بقوة نحو الاهتمام بإلقاء مزيدٍ من الضَّوء على ما نعتبره وثيقة تاريخيَّة، وأبرزها حضور تأثيرات النَّص في الوقت الحاضر وتبعاته المؤثِّرة على المشهد السياسي، إذ يطرح النَّص في مضمونه ووفقًا بطبيعة الحال لمنظور كاتبه واقع تاريخي يفترض وضعيَّة سياسيَّة خاصَّة للكويت وطبيعة علاقات متفردة مع الدَّولة العثمانيَّة وهو ما ترتب عليه-حتى وقت قريب-توظيف سياسي للنَّص واستخدامه بشكلٍ متكرِّر كإشارة مرجعيَّة لأكثر إشكالات الهويَّة التاريخيَّة والسياسيَّة في الكويت.

تحليلًا، يُمكن القول بأن طبيعة مذكرات مدحت باشا تسمحُ بتوسع نطاق التقييمات وتعدد الرؤى وإمكانية قراءة النَّص بعيدًا عن الواقع التَّاريخي أمر وارد، فهي في النِّهاية نتاج ذاكرة عايشت ظروف اقتصاديَّة وسياسيَّة ونزعات نفسيَّة معقَّدة يصعبُ على من هم خارج الحقل الأكاديمي المعني فهمها، ولذلك يعتمدُ الأمر كلُّه على قدرة المؤرخ على إعادة وضع مثل هذه الظُّروف داخلَ سياقاتها المناسبة وإخضاعها تحت مجهر التَّحقيق والنَّقد والتَّحليل لاستجلاء الحقيقة التاريخيَّة.

المذكرات كمصدر تاريخي:

طُرحت داخلَ المدارس التاريخيَّة باتجاهاتها المختلفة نقاشات مستمرة حول إشكالات المصادر التاريخيَّة، والتي ترتبط ارتباط وثيق- باتفاق الجميع- بنجاح

المؤرخ في عملية العبور الزمني للماضي بمنحه مرجعيَّة أساسيَّة تمكنه لاستعادته وبناء تفسيراتٍ سليمة له، ويأتي ضبط أولى الخطوات المنهجيَّة لهذه العملية في تقييم أصالة الأخير لمصادره التاريخيَّة.

في هذا المقام نحاول تعيين موقع المذكرات بين صنوف المصادر التاريخيَّة المكتوبة، وتحديد قيمتها كمصدرٍ مؤهل يسمح لتأريخ التَّاريخ، وتوضيح نقاط ضعفها وسر جاذبيتها لدى المؤرخين، وسيبدو مفيدًا أن ننطلق بدايةً من تقديم تعريف لمفهوم المذكرات، ومن ذلك ما ذكره لوغوف بخصوص كلمة mémoires وبكونها نتاج مؤسَّس على مادة مكتوبة استحضرت من قِبَل ذاكرة شخصيَّة كانت تحظى بمكانه عالية في محيطها، وقد ربط لوغوف ظهور هذا النَّوع من الكتابة في القرن السَّادس عشر بهذا المعنى، بالموقع المميز للتَّاريخ والفرد معاً[1]، ولم يتجاوز القرن الثامن عشر هذا المفهوم في معناه واستخداماته، إذ بقيت شخوص كُتَّاب المذكرات من داخل دائرة الفاعلين والمؤثرين في محيطهم ، واستمر غرضها الوظيفي قائم على تدوين ما اعتبر حقائق ومعتقدات أصحابها[2] .

ومع تَسيد توجهات منهج «التاريخ الجديد» في القرن العشرين على ساحة الدراسات التاريخيَّة، فقد أُعيد تعين موقع التَّاريخ السياسي، وتاريخ السير في الحقل التَّاريخي الكبير، وفقاً بطبيعة الحال لممارسة تاريخيَّة حددتها أُطر» إشكاليات عميقة التَّجديد» [3]، وعلى ذلك يُمكن النَّظر إلى نتائج عمليَّة الاستيعاب التي انطلقت من إعادة الاعتبار للتَّاريخ السياسي، على أنَّها قادت أيضًا إلى إعادة الاعتبار للمذكرات الشخصيَّة، وبوصفها «مرآة للتَّاريخ الذَّاتي للأفراد الفاعلين المؤثرين أو المتأثرين في حراك المجتمع» [4]، فقد أصبحت بكثافة ما تحمله مادتها المكتوبة وثيقةً تاريخيَّة

١ـ جاك لوغوف، التاريخ والذاكرة، الطبعة الأولى، ترجمة جمال شحيد، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت ،٢٠١٧م، ص١٤٧.
٢ـ جون توش، المنهج في دراسة التَّاريخ، اتجاهات ومنهجيَّات وأهداف جديدة في دراسة التَّاريخ الحديث، الطبعة الأولى، ترجمة ميلاد المقرحي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي ، ١٩٩٤م، ص ٧٥.
٣ـ جاك لوغوف(إشراف)، التَّاريخ الجديد، الطَّبعة الأولى، ترجمة محمد الطَّاهر منصوري، المنظَّمة العربيَّة للتَّرجمة، بيروت،٢٠٠٧م، ص ٤٥.
٤ـ وجيه كوثراني، تاريخ التأريخ، اتجاهات – مدارس – مناهج، الطَّبعة الثَّانية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت ،٢٠١٣م، ص٣٩٨.

يجري عليها كما يجري على بقية الوثائق التاريخيَّة من دراسة وتفسير وتأويل، ولتكون من بعد ذلك معطى من معطيات المعرفة التاريخيَّة[٥].

من هنا تبرز تقاطعات المفهوم والمضمون للمذكرات كما جاءت في اتجاهات ومناهج بعض المدارس التاريخيَّة مع خصائص مذكرات مدحت باشا قيد الدِّراسة، وقد تحدَّدت نقاطها الأساسية في التَّأكيد على الموقع المميز لصاحب المذكرات وبكونه فاعل ومؤثر في حراك مجتمعه، وهو ما حظي به مدحت باشا كرجل سياسي بارزٍ لعبَ أدوارًا مهمَّة في مناصب الدَّولة العثمانيَّة، ومن زاوية عملية؛ أضفى موقع صاحب المذكرات امتيازًا خاصًّا على نتاجه المكتوب، على اعتبار أنه ليس فقط شاهد عيان عايش الحادثة التَّاريخية، بل لكونه في موقع يسمح له بالتَّأثير على مسارها، وهو ما منح هذا النَّوع من الكتابة التاريخيَّة السُّلطة المعرفيَّة، وأيًّا كانت نسبة هذا الحكم من الحقيقة.

فالسياق الذي دفع إلى هذه النَّظرة يحتكم إلى اعتبار مهم يتمثَّل بكون المؤلف – ونقصد هنا مدحت باشا– كما قال فرانسوا بداريدا في وصفه شاهد العيان بأنه دائمًا «يُنَصِّبُ نفسه ناطقًا رسميًّا باسم الحقيقة «[٦]،ومن مبدأ « كنت حاضرًا إذًا أنا أعرف»[٧]، فقد بَدت إمكانات تحوُّل الذَّات كسلطة على مشهد النَّص واضحة. [٨]

وعلى ضوء ما اعتبر حقيقة، يظهر إشكال معرفي أساسه التَّمييز بين حدود الذَّاكرة والتَّاريخ أو المسافة بين الذَّاتية والموضوعيَّة، فما بين ما تفرضه طبيعة نتاج المذكرات والمعتمد على ذاكرة تحمل بكثافة عالية دلالات للعواطف والمشاعر والرغبات، أو بصحيح العبارة، على نتاج معتمد المرجعيَّة الذاتيَّة لتقيم الواقع وتقلباته[٩]، والتَّأريخ كممارسة تعتمد الموضوعيَّة شرطًا أساسيًّا لها، يُرسم ملامح لتعارض كبير قد يقلِّص من قيمة المذكرات كمصدر تاريخي، لكن على الرغم من

٥ـ المرجع نفسه، ص ٣٩٨.
٦. مجموعة مؤلفين، التَّاريخ الشَّفوي، مقاربات في الحقل السياسي العربي، الطَّبعة الأولى، المجلد الثَّالث، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت،٢٠١٥م، ص٢٩٠.
٧. المرجع نفسه، ص٢٩٠.
٨. المرجع نفسه، ص٢٩٠.
٩. وجيه كوثراني، مرجع سابق، ص٣٩٩.

ذلك، يطرح منظرو التَّاريخ الجديد تسويغ متناسق مع طبيعة المعرفة التاريخيَّة، ويستوعب عبء ما تحمله المذكرات من ذاتيَّة، وهو أن هذا الإشكال المعرفي بما يطرحه من تمييز ومستويات يبقى تحت سقف من المعرفة النسبيَّة والتي تسعى في نهاية المطاف نحو هدف الوصول إلى تكامل معرفي مع بقيَّة العلوم والمعارف[١٠].

من جانب آخر، تقف مناهج البحث التَّاريخي تجاه هذا الإشكال بموقف أمامي، فقد طوَّرت تقنيات وإجراءات من قواعد التَّمحيص والنَّقد وتوظيف قرائن تاريخيَّة مختلفة، ساهمت إلى حدٍّ بعيدٍ نحو تحقيق هدف المؤرِّخ بتجاوز صعوبة الفصل بين قطبية الموضوعيَّة والذاتيَّة في نتاج المذكرات الشخصيَّة.

وممَّا له دلالة، أنَّ الذاتيَّة بحضورها المتواري خلف نصوص المذكرات، تبقى أساس منطلقات الذَّات في تعاطيها مع الموضوع، ومآل لفهمه ولتفسيره، أي أنها تعكس في واقع الأمر جانب من البعد الإنساني في تأثر الذَّات بالواقع التَّاريخي وتأثيره في كيفية تعاملها معه، ويمكن لذلك أنْ يتَّجه للكشف عن وعيها الدَّاخلي وفق خبرتها في التَّعامل مع تجارب الواقع.

ومع ما تولد من تقييمات لنتاج المذكرات عند المدارس التاريخيَّة باتجاهاتها المختلفة، نجد أنَّ هذا النَّوع من الكتابة يعتبر مصدراً تاريخيًّا مهمًّا لا يُمكن إهماله في تأريخ التَّاريخ خصوصاً أنه قد يسد فجوة وانقطاع في تسلسل الأحداث التاريخيَّة خلفه غياب المصدر المكتوب.

مدحت باشا.. محطات تاريخيَّة:

من المتعارف عليه في النظريَّات الكلاسيكيَّة للنَّقد، أن أي عمل مكتوب مرتبط بشخص المؤلف، إذ يعكس أسلوب الأخير صورًا لذاتيَّة تعمل على امتداد النتاج بتوجيه سياقات النَّص وانتقاء المواقف فيه، ومن المهم عند هذه النُّقطة الأخذ في الاعتبار بأنَّ ذاتيَّة المؤلف لا تُقاوم تأثيرات محيطها الخارجي، بمعنى أنَّ ارتباطاتها

١٠. نفس المرجع، ص ٣٩٩.

بالخلفيَّة الثقافيَّة والاجتماعيَّة والفكريَّة والخبرات السياسيَّة تضغط بقوَّةٍ على ملامح وبنية العمل ككل، ومن هنا، وكشرط مسبق لتوسيع حدود فهمنا لأي نتاج فكري، توجَّب الوقوف على شخصيَّة المؤلف واستعراض أهم محطاته التاريخيَّة.

ولد أحمد شفيق[١١] في الأستانة عام ١٢٣٨هـ/ ١٨٢٢م، وفي بيئة دينيَّة محافظة تشكَّلت نشأته الأولى، فوالده القاضي الحاج حافظ محمد أشرف كان عالم دين، في هذا الوسط رسمت اتجاهاته الثقافيَّة المبكرة، فحفظ القرآن وهو في سن العاشرة لذلك أطلق عليه اسم حافظ شفيق [١٢]، ولما دخل الدِّيوان الهُمايوني، وكانت العادة بتسمية الخريجين بأسماء خاصة، تبدل اسمه القديم بآخر جديد اشتهر به حتى آخر أيامه، ألا وهو مدحت باشا[١٣]، تبدأ المرحلة المهمَّة في حياة الأخير بعد تدرجه في الوظائف الحكوميَّة، بدأها من سلك الكتبة الصغار؛ ليتقلَّد فيما بين عامي ١٨٥٣م/ ١٨٥٨م مناصب عديدة في البلقان وبورصة وودين وسلستريا[١٤]، وخلال توليه مناصبه كان يضع خططه للإصلاح ومشاريعه للقضاء على الفساد، وعلى ما يبدو أنَّ هذا ما جرَّ عليه الكثير من العداوات والخصوم في الوسط السياسي.

في أوائل العام ١٨٦٨م أسندت إليه رئاسة مجلس شورى الدَّولة، وخلال أشهر قليلة فقط من عمله وضع عدد من القوانين والأنظمة تناسبت مع توجهات الدَّولة الإصلاحيَّة، لكن الأخير قرر الاستقالة بعد خلافات مع الصَّدر الأعظم عالي باشا، وبعد قبول استقالته مباشرةً اختير مدحت باشا كوالي على بغداد[١٥]، وكان هذا الاختيار مدروس، فأمام تطورات مهمَّة وخطيرة في المنطقة؛ وجدت الدَّولة في تعيين شخصيَّة مثل شخصيَّة مدحت باشا ما يتوافق مع ظروف المرحلة، وحاجة الدَّولة بتحقيق مصالحها في تقوية نفوذها على سواحل الخليج العربي ومواجهة النُّفوذ

١١. الاسم الأول لمدحت باشا بعد ولادته.
١٢. مدحت باشا، حياته – مذكراته – محاكمته، يوسف بك حتاتة، صديق الدَّملوجي، الطَّبعة الأولى، الدَّار العربيَّة للموسوعات، بيروت ، ٢٠٠٢م، ص٧.
١٣. المصدر نفسه، ص٧.
١٤. محمد سهيل طقوش، تاريخ العراق الحديث والمعاصر، الطَّبعة الأولى، دار النَّفائس، بيروت،٢٠١٥م، ص٩٦.
١٥. جميل موسى النَّجار، الإدارة العثمانيَّة في ولاية بغداد، من عهد الوالي مدحت باشا إلى نهاية الحكم العثماني ١٨٦٩-١٩١٧م، الطَّبعة الأولى، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١م، ص١٤٨.

البريطاني وجعل العراق طريق يماثل أهمية قناة السويس، وهذا ما ترجمته أعمال الأخير في بغداد[١٦]، فبعد أنْ مُنِحَ صلاحيَّات غير محدودة في الأقاليم العثمانيَّة في العراق، أدخلَ مدحت باشا تحديثات إداريَّة جديدة شملت بالتغيير الهيكل التَّنظيمي والوظيفي في الإدارة العثمانيَّة، كما اتَّسعت جهوده الإصلاحية لتمتدَّ للإدارة الماليَّة، ويأتي ذلك في ظل مخاوف من تأثير فتح قناة السِّويس على اقتصاديَّات المنطقة، وقد اتَّخذت هذه الممارسات الإصلاحيَّة طابعها الجدي حتى قيل بأنَّها لم تطبَّقْ بشكل عملي إلا في ولاية مدحت باشا لبغداد (١٨٦٩م/ ١٨٧٢م) [١٧].

بعد تركه منصب الولاية في بغداد عُيِّنَ مدحت باشا عام ١٧٨٢م كوزير أعظم (صدر أعظم) للمرَّة الأولى، لكن خلافه مع السلطان عبد العزيز دفع الأخير لعزله من منصبه[١٨]، ولعلَّ ذلك كان سببًا في انضمامه مع قادة حركة العثمانيين الجُدد المطالبين بإزاحة السُّلطان العثماني، ولما نجحَ انقلاب عام ١٨٧٦م في خلع السُّلطان عبد العزيز عن الحكم، وصل السُّلطان مراد الخامس للسُّلطة، إلَّا أن مدحت باشا من جديد لعب دورًا مهمًّا في خلعه، وبالاتفاق مع السُّلطان عبد الحميد عُيِّنَ الأخير خلفًا للسُّلطان المعزول[١٩]، ومع وصول السُّلطان الجديد لسُدَّة الحكم، عمل مدحت باشا مع جماعة من السياسيين بمطالبته بإصلاح الإدارة العثمانيَّة وإقرار الدُّستور، ووجدت الدَّعوة طريقها للموافقة، فعُيِّنَ من جديد صدرًا أعظم وعُهِدَ إليه مهمة إعداد الدستور[٢٠]، وبعد إعلانه عام١٨٧٦م وببضعة أشهر ألغى السُّلطان العثماني عبدالحميد الدُّستور وأوقف العمل فيه وأقال مدحت باشا من منصبه بل وأصدر فيه قرار بنفيه خارج البلاد[٢١]، ودون الدُّخول في تفصيلات الموقف بين الأخير والسُّلطة لكن يبدو أنَّ مدحت باشا عانى الكثير في فترة حكم السُّلطان عبد الحميد حتى أنَّه

١٦. محمد سهيل طقوش، مرجع سابق، ص ٩٦-٩٧.
١٧. سيَّار الجميل، زعماء وأفنديَّة، الباشوات العثمانيون والنهضويون العرب، البنية التاريخيَّة للعراق الحديث، الموصل نموذجًا، الطَّبعة الأولى، الأهلية للنَّشر والتوزيع، الأردن، ١٩٩٩م، ص١٦٤-١٦٥.
١٨. لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، الطَّبعة التَّاسعة، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٧م، ص٣٤٩.
١٩. المرجع نفسه، ص٣٤٩.
٢٠. جورج أنطونيوس، يقظة العرب، تاريخ حركة العرب القوميَّة، ترجمة ناصر الدين الأسد، إحسان عباس، الطَّبعة السَّابعة، دار العلم للملايين، بيروت ، ١٩٨٢م، ص١٢٩.
٢١. قيس جواد العزاوي، الدُّولة العثمانيَّة، قراءة جديدة لعوامل الانحطاط، الطَّبعة الثَّانية، الدَّار العربيَّة للعلوم، بيروت، ٢٠٠٣م ص١١٧.

اتُّهِمَ في أواخر أيامه بالتَّآمر على قتل السُّلطان عبد العزيز؛ فقُبِضَ عليه وتمت محاكمته وأُرسل إلى الطائف مسجونًا، وهناك تمت تصفيته عام ١٣٠١هـ[٢٢].

ملاحظات أولية على مذكرات مدحت باشا:

ماهي مذكرات مدحت باشا؟

مذكرات مدحت باشا عنوان متداول عند أوساط المهتمين بالتاريخ، وهو نتاجٌ لعمل منشور من قِبَلِ علي حيدر بك بن مدحت باشا، تناول فيه أهم المحطات التاريخيَّة في حياة والده منذُ ولاته حتى وفاته، ويقع كما جاء في الأصل على جزئين الأول بعنوان (تبصرة عبرت) والثَّاني بعنوان (مرآت حيرت)، وقد كتب مدحت باشا الجزء المتعلق بنشأته وأعماله وإنجازاته وشهاداته على الأحداث، فيما وسع ابنه علي حيدر بك العمل استنادًا على وثائق رسميَّة وبعض المصادر الشفويَّة، وقد غطى في هذا الجانب بعض الأحداث المتعلقة بمقتل مدحت باشا في الطائف[٢٣].

هذا وقد تعرض مدحت باشا لمشروع كتابه بقوله « طلب الكثيرون من محبي الوقوف على نشأة مدحت باشا ترجمته فنشرها مرارًا باللغتين التركيَّة والعربيَّة*، ولكنها لم تكن وافية لأن قسمًا منها كتب عن أحوال سنة ١٢٨٢، والقسم الثَّاني كتب عن أحوال سنة ١٢٩٠ على أن خدمات مدحت باشا المشهورة قد ابتدأت بعد ذلك الزمان وخصوصًا سنة ١٢٩٣ أي من خلع السُّلطان عبد العزيز إلى سنة ١٢٩٩ فيما بين هذين التَّاريخين تنحصر أهمية صحائف أحواله؛ ولذلك قد طلب منه العديدون من رفاقه في سجن قلعة الطائف كتابة هذه الأسطر فلبَّى طلبهم وكتب ترجمته من ولادته.

---

٢٢. انظر مدحت باشا، حياته – مذكراته – محاكمته، يوسف بك حتاتة، صديق الدملوجي، ص٨٥ وما بعدها.

٢٣. عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، العهد العثماني الثَّالث، الجزء السَّابع، الدَّار العربيَّة للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٤م، ص١٩٢-٣١٠-٣١١.

* جاءت في نسخة العمل باللغة التركيَّة على أنَّ الترجمة نُشِرَت باللغة الفرنسيَّة وليست بالعربيَّة، انظر:
MİDHAT PAŞA'NIN HATIRALARI,HAYATIM İBRET OLSUN,BirinciCilt,YayınaHazırlayan Osman Selim KOCAHANOĞLU,TEMEL YAYINLARI,ISTANBUL, 1997,p15.

سنة ١٢٣٨ إلى سنة ١٣٩٨*وضمن هذه الترجمة وقائع الدَّولة السياسيَّة وسُمِّي الكتاب المحتوي على هذه التَّفصيلات الشاملة لأعظم الوقائع السياسيَّة تبصرة وعبرة».[٢٤]

ترجمات بلغات مختلفة هل تعني أعمال مختلفة؟

ولعل ما يجرنا إلى تقديم أولى الملاحظات على المصدر المكتوب قيد الدراسة، يكمن بدايةً في تعدد لغات الترجمة، إذ ترجم النَّص الأصلي من اللغة العثمانيَّة – لغته الأصليَّة – إلى لغات مختلفة، فهناك ترجمة باللغة التركيَّة الحديثة، وأخرى باللغة الإنجليزيَّة، وثالثة باللغة العربيَّة، وعند الترجمة الأخيرة نتوقف لنرصد بعض الملاحظات على النُّسخ المعرَّبة، وهنا نشير أولاً إلى أن النُّسخة التي عرَّبها يوسف كمال بك حتاتة للعمل الموسوم بمذكرات مدحت باشا تمثِّل– بحسب علمنا– أقدم ترجمة باللغة العربيَّة، إذ يشير المعرِّب في خاتمة العمل بقوله» قد فرغت من ترجمة هذا الكتاب في العاشر من شهر رجب الفرد سنة ١٣٣١هجريَّة الموافق ١٤يونية سنة ١٩١٣ميلاديَّة في الأستانة العليَّة» [٢٥]، أي أنَّها تُرْجِمت بعد سنوات قليلة من نشر علي حيدر هذا العمل[٢٦].

من ناحية أخرى، نجد أنَّ هذا العمل المترجم عبارة عن اندماج للجزأين (تبصرة عبرت) و(مرآت حيرت)، وهو الأمر الذي تسبب في التباس عميق عند القارئ، إذ أن تداخل المواضيع بأحداثها من دون تعيين لحدود منفصلة للجزأين، لم يحقق التَّسلسل المنطقي لسرد الأحداث داخل الجزء الواحد كنتاج لعمل مكتمل فقط، إنما أيضًا أسفر عن غموض لافت للنَّظر عندما ضاعت معه الأدوار بين شخوص العمل الأساسيين، وهنا نُشير إلى نقطة جوهريَّة تتمثَّل في نيابة النَّاشر في بعض المواقف بالتَّعبير عن الكاتب الأصلي للنَّص.

* خطأ مطبعي والصحيح ١٢٩٨هـ.
٢٤. مذكرات مدحت باشا، تعريب يوسف كمال حتاتة، الطَّبعة الأولى، مطبعة هنديَّة، مصر، د.ت، ص٣-٤.
٢٥. المصدر نفسه، ص ٢٣٦.
٢٦. نشر العمل تحديدًا في عام ١٣٢٥هـ، كما جاء في مقدمة النَّاشر، نفس المصدر، ص٣.

ملاحظة أخرى تستحقُّ النِّقاش، وهي مسألة اختلاف العنوان عند هذه النَّسخة المعرَّبة، عنه كما جاء في لغتها لأصل العثمانية (تبصرة عبرت) و(مرآت حيرت)، والذي قد يعكس نوع من الإبهام في المعنى عند القارئ العربي، إلَّا أنه تم اختياره كعنوان في النُّسخة الأولى (مذكرات مدحت باشا)، قد نجح بالفعل في توظيفه لتفسير مضمون العمل، إذ استخدمت كلمة مذكرات للإشارة إلى محتوى المادة المكتوبة والمسحوبة في أساسه أو كما هو مفترض من ذاكرة مدحت باشا.

وقبل أنْ ننتقل لاستعراض النُّسخة المعرَّبة الثَّانية، والتي صدرت عام ٢٠٠٢م بعنوان مدحت باشا: حياته، مذكراته، محاكمته، ليوسف كمال بك حتاتة وصديق الدملوجي؛ نتوقف عند إشارة جديرة بالملاحظة وهي عبارة عن تعليق دُوِّنَ في هامش كتاب العثمنة الجديدة لمؤلفه سيَّار الجميل، ويدور حول مؤلَّف لصديق الدملوجي موسوم بعنوان (مدحت باشا)، وهنا ننقل بالنَّص ما أورده الجميل في وصفه للمؤلَّف من كتابه سابق الذكر «هذا كتاب قيم ونادر، ولكن سلبته إحدى دور النَّشر العربيَّة مؤخرًا، وصدر بعنوان مدحت باشا: حياته، مذكراته، محاكمته، لمؤلفين كتب اسميهما: يوسف بك حتاتة ود. صديق الدملوجي (علمًا بأن مؤلفه الحقيقي صديق الدملوجي (١٨٨٠-١٩٥٨)، وكان إداريًّا ولم يحمل شهادة الدُّكتوراه، وهو عراقي من الموصل، ولقد سرق.

الكتاب وطبع كما جاء (الطَّبعة الأولى) في بيروت: الدَّار العربيَّة للموسوعات عام ٢٠٠٢م»[٢٧].

وبالعودة لكتاب «مدحت باشا»، يقدم الدملوجي مؤلفه بكلمة تفصح عن مضمون العمل بقوله «جرت عادة الكُتَّاب أن يقدموا كتبهم بمقدمات من إملائهم أو أقلام غيرهم وأغلبها ترديد لمادة الكتاب أو مدح لصاحب القلم لا يستساغ ككل ما لا يخرج عن المتبع والمألوف. وموضوع كتابي هو تقديم للكتاب في حدِّ ذاته. واسم «مدحت باشا» وحياته خير حلية تخلع على أي كتاب».[٢٨]، بهذا المعنى يفهم من

٢٧. سيَّار الجميل، العثمنة الجديدة، القطيعة في التَّاريخ الموازي بين العرب والأتراك، الطَّبعة الأولى، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ٢٠١٥م، ص١٢٨.
٢٨. صديق الدملوجي، مدحت باشا، مطبعة الزمان، بغداد، ١٩٥٢/ ٥٣م، ص٣.

الاقتباس السَّابق أنَّ العمل ليس تعريب في مجمله أو ترجمة نصيَّة لكتاب مدحت باشا، إنما هو تقديم لشخصيَّة الأخير وأعماله، وهو ما يؤكده محتوى الكتاب وأسلوب المؤلف، فمن داخل النَّص تكشف بعض العبارات والجمل ذات دلالة على انفصال كاتب النَّص عن الشخصيَّة موضوع الكتاب، وتصدق على ذلك عبارات مستخدمة في الكتاب من مثل « رئاسته لمجلس شورى الدَّولة، فتحه لبلاد نجد، رعايته لشاه إيران..»[٢٩]، وعلى الرَّغم من وجود دلالات على الانفصال، نجد أنَّ أصول المصادر التاريخيَّة التي وظفها الدملوجي في كتابته للمادة العلميَّة مستل في غالبها من أعمال مدحت باشا نفسه، وبالتَّالي هذا يُفسر توازي بعض المواضيع وتشابهها عند الطَّرفين.

إن ما يبدو للقارئ الآن على أنه خارج الصلة عن ملاحظاتنا الأوليَّة والمقدمة حول مذكرات مدحت باشا، هو بالفعل جزئيَّة مهمَّة من النَّقطة المطروحة، ويأتي في صميم تقييمنا للنَّسخة المعربة المشار إليها آنفًا والمعنونة بمدحت باشا: حياته، مذكراته، محاكمته، ليوسف كمال بك حتاتة وصديق الدملوجي، فهذه النسخة اعتمدت العملين السَّابقين لكمال حتاتة في تعريبه لمذكرات مدحت باشا والدملوجي في كتابه مدحت باشا، ونقحت بحيث أدمج النتاجين مع بعضهما، وما يمكننا أن نلاحظه هنا هو أنَّ دور المترجم والمؤلف كان ملتبسًا في هذا العمل، بحيث يصعب تحديد موقع ومساهمة كل منهما، وهذا ما يفتح بطبيعة الحال مجال واسع لتساؤلات كثيرة، فمن هو المترجم ؟ ومن هو المؤلف؟ وما حدود تدخلاتهما في النص والمضمون؟ وكلها أسئلة قد لا تجد طريقًا للإجابة.

تبقى ملاحظة أخرى على هذه النسخة جديرة بالذكر، وهي أن عنوان العمل (مدحت باشا: حياته، مذكراته، محاكمته)، مستوحى من عنوان كتاب علي حيدر بك المترجم باللغة الإنجليزيَّة:

"THE Life OfMidhat Pasha

A Recordof His Services, Political ReformsBanishment, andJudicial Murder, Derived From Private Document and Reminiscences"

٢٩. المرجع نفسه، ص ٣٢-٤٢-٤٥.

وهذا العمل هو الأسبق في النَّشر عن النسخ العثمانيَّة والعربيَّة، إذ يؤرخ علي حيدر تاريخ النَّشر في عام ١٩٠٣م [٣٠]،ويطابق الكتاب بنسخته الإنجليزيَّة إلى حدٍّ ما خطة العمل في النُّسخ العربيَّة من حيث اندماج العملين الأساسيين، وهو ما يبدو واضحًا من عنوان العمل، فهو تدوين وتسجيل لحياة مدحت باشا من نشأته حتى وفاته وعلى الرغم من تأكيد علي حيدر على أنَّ العمل مؤسس.

على مصادر ومرجعيَّات قويَّة تستند على وثائق وسجلات لوالده مدحت باشا، إلَّا أنَّ جهات عُليا طلبت منه –على حدِّ تعبيره – الامتناع عن نشر بعض الوثائق والمراسلات لحساسية مضمونها.[٣١]تبقى لنا نسخة العمل المترجمة للغة التركيَّة، وأولى الملاحظات عليها تبدأ في اعتمادها فصل العمل في مجلدين، فجاء المجلد الأول بعنوان «مذكرات مدحت باشا» – تبصرة عبرت، والمجلد الثاني « مذكرات مدحت باشا» –مرآت حيرت، واعتمدت على الأصل العثماني مع إضافة بعض الملحقات.

وعلى الرغم من الارتباط الوثيق بين النُّسخة المترجمة والعمل الأصلي، إلَّا أنَّ إعادة الإنتاج عبر ترجمته لأكثر من لغة، قد يفتح مجالاً لعمليات التَّعديل والتَّنقيح، كما قد تلعب الظُّروف وخصوصًا السياسيَّة أثناء إعادة الإنتاج، دور مؤثر في مسارات العمل،[٣٢]، وبالتَّالي كان لابدَّ من ممارسة نقديَّة ترتكز على المقابلة والمقارنة بين النُّسخ الثَّلاث المترجمة.

الكويت في مذكرات مدحت باشا:

أولاً: الكويت في مؤلف النُّسخة المعربة:

من بين النُّسخ العربيَّة المشار إليها سابقًا، يحظى كتاب مذكرات مدحت باشا، تعريب يوسف كمال حتاته بالتَّفضيل، وذلك لاعتبارات عدَّة منها أسبقية النَّشر

٣٠. وهذا يتوافق مع ما ذكره في مقدمة كتاب مذكرات مدحت باشا، انظر مذكرات مدحت باشا، تعريب يوسف كمال حتاتة، مصدر سابق، ص٢-٣.

31 - ALI HAYDER MIDHAT BEY, The Life Of Midhat Pasha, A Record of His Services, Political Reforms Banishment, and Judicial Murder, Derived From Private Document and Reminiscences,John Murray, ALbemarlestreet, W,LONDON,1903,pVII.,

وقد يبرر وجود السُّلطان عبد الحميد في السُّلطة هذا المنع.

٣٢. كما سبق أن أشرنا في ملاحظاتنا على النُّسخة الإنجليزيَّة، من امتناع علي حيدر من نشر بعض الوثائق المؤثِّرة في العلاقات السياسيَّة بين الدَّولة العثمانيَّة وبريطانيا.

على النُّسخ العربيَّة الأخرى، ودور الأخير في التَّعريب[٣٣]، في هذا العمل نجد إشارة للكويت في ثلاثة مواضع ننقلها كما جاءت بالنَّص:

الموضع الأول:

«إلحاق الكويت بالبصرة بعد جعلها تابعة للدَّولة العثمانيَّة»:

تبعد الكويت عن البصرة (٦٠) ميلًا في البحر وهي كائنة على السَّاحل بالقرب من نجد وأهلها كلهم مسلمون وعدد بيوتها (٦٠٠٠) وليست بتابعة لأيَّة حكومة وكان الوالي السَّابق نامق باشا يريد إلحاقها بالبصرة فأبى أهلها لأنَّهم قد اعتادوا عدم الإذعان للتَّكاليف والخضوع للحكومات فبقي القديم على قدمه.

ونسل هؤلاء العرب من الحجاز وكانوا قبل (٥٠٠) سنة قد حضروا إلى هذه البقعة هم وجماعة من قبيلة المطير وواضع أول حجر في تلك البلدة رجل اسمه صباح وقد كثر عدد أهلها على تمادي الأيام وشيخها اليوم اسمه عبد الله بن الصباح وهو من هذه القبيلة.

والأهالي هناك شوافع وهم يديرون أمورهم معتمدين على الشَّرع الشَّريف وحاكمهم وقاضيهم منهم فهم شوافع يعيشون شبه جمهورية وموقعهم مساعد على الاحتفاظ بحالتهم الحاضرة.

وهم لا يشتغلون بالزراعة بل بالتجارة البحريَّة وعندهم ألفان من المراكب التجاريَّة الكبيرة والصَّغيرة فهم يشتغلون بصيد اللؤلؤ في البحرين وفي عُمان وتسافر سفنهم الكبيرة إلى الهند وزنجبار للتجارة.

وقد رفعوا فوق مراكبهم التجارية راية مخصوصة بهم استعملوها زمنًا طويلاً غير أنَّ خوفهم من غارة الأجانب عليهم قدْ حدا بهم إلى رفع الرايات الأجنبيَّة فرفع بعضهم راية الفلمنك وآخرون رفعوا راية الإنكليز واعتادوا على هذه العادات بالتَّدريج وبدأت مقدِّمات الحماية الأجنبيَّة تظهر فيهم وقبولهم الحماية الأجنبيَّة يُعَدُّ

٣٣. هو من موظفي نظارة المعارف العثمانيَّة وقد سبق له تعريب مؤلفات تركية من مثل رواية عبد الحميد في قصر يلدز.

ضربة قاضية على استقلال البصرة ولهذا السَّبب فقد دعاهم مدحت باشا وأعفاهم من الرسوم الجمركيَّة وغيرها من التَّكاليف الأميرية فوافقوا على قبول حماية الدَّولة العليَّة ولذا فقد جعلهم تابعين لولاية البصرة ودعا عبد الله بن صباح بقائمقام الكويت وأبقاه كما كان وأبقى غيره من الموظفين أيضًا ولم يغيِّر شكل حكومتهم بل أحضر لهم من الأستانة البراءات الرسميَّة وما يثبت اتباعهم للدَّولة العثمانيَّة وأمر بالرايات الأجنبيَّة فأنزلت عن سفائنهم وحلَّت محلها الرَّاية العثمانيَّة»[٣٤].

الموضع الثَّاني:
أحوال نجد:

تحت هذا العنوان نجد إشارة ثانية للكويت وحاكمها في تلك الفترة الشَّيخ عبد الله الصُّباح، وهي كما جاءت بالنَّص كالتَّالي:

«وقد أرسلت الحكومة أوَّل قافلة من الفيلق السَّادس سنة٨٧ وهي مركبة من خمسة طوابير من المشاة مع بعض الفرسان ورجال المدفعيَّة تحت قيادة نافذ باشا الذي أخذ معه منصور باشا وغادر مع الحملة البصرة وتوجَّه مع الجنود جماعة من أهالي الكويت التابعين لولاية البصرة كمتطوعين للإعانة على نقل مرافق الجيش ومؤنه وخصَّص مدحت باشا للحملة ثمانين سفينة بين صغيرة وكبيرة لنقلِ اللوازم الحربيَّة وكانت هذه السَّفائن تابعة لعبد الله الصُّباح المسلوب الإمارة وبقيت تخدمَ الحكومة بلا أجرة إلى يوم انتهاء المشكلة»[٣٥].

الموضع الثَّالث:
توجَّه مدحت باشا إلى نجد ونجاحه:

ضمَّ هذا العنوان إشارة أخرى للكويت وهي كما جاءت بالنَّص كالتَّالي:

«كان مدحت باشا قد عادَ من (الهفوف) فاستصحبَ تلك السُّفن وتوجَّه بها

٣٤. مذكرات مدحت باشا، تعريب يوسف كمال حتاتة، ص ١٧١-١٧٢.
٣٥. المصدر نفسه، ص ١٧٥-١٧٦.

إلى الكويت التي لحقت بالبصرة منذُ سنتين قلنا في غير هذا المكان: إنَّ الكويتَ كائنةٌ على ساحل البحر وعدد منازلها يبلغُ ستة آلاف وأهلها محرومون من المعارف يدلُّ ظاهرهم على الهمجيَّة ولكنهم كالعائلة الواحدة تضامنًا وأحكامهم تجري على ما يقتضيه الشَّرع، ولذا فإنَّك لا ترى بينهم سوء الأخلاق والأمن قائم فيها على أساس متين فهي غير محتاجة إلى نفر من أنفار الضابطة ويأتي إليها أهل هولاندا وأهل إيران للتجارة وهم يعرفون أخلاق الأهالي وعوائدهم فالبلدة غير محتاجة إلى قوَّة لحفظ الأمن.

ويديرها قائمقام وقاضي وأزقتها نظيفة نقيَّة وبيوتها منتظمة وأهلها يذهبون إلى أوروبا للتجارة؛ فيتعلمون من الإفرنج عاداتهم التي لا تغاير آداب الدِّين وليس عندهم تعصُّب أعمى، وكان القاضي المقيم في تلك البلدة يحكمُ بين النَّاس بالقسط وله على تلك الحالة (٤٥) سنة وهو لا يأخذ في نظير عملة أجرًا وقد أرضى الكبير والصَّغير؛ فرأى مدحت باشا أنَّ البلدة غير محتاجة إلى عمل وغادرها عائدًا إلى البصرة»[٣٦].

ثانيًا: الكويت في مؤلف النُّسخة الإنجليزيَّة:

تبقى هذه النُّسخة على مستوى من الأهميَّة، فهي أول نسخة مترجمة نشرها علي حيدر، فضلًا عن ذلك فإنَّ هذا العمل موجَّه بالدرجة الأولى لجمهور القرَّاء الإنجليز، فهل تكشف قراءة هذه النُّسخة دلالاتٍ مختلفة؟ هل تعملُ لمصلحة نشر حقائق معيَّنة؟ هل من اعتبارات...؟

في الفصل الثَّاني والمعنون بالسَّنوات الأولى لمدحت باشا، تظهر أولى الإشارات لاسم الكويت، وقدْ جاءت في النَّص كالتَّالي:

«على بعد ٦٠ ميل من البصرة وعلى السَّاحل النَّجدي تقعُ البلدة الصَّغيرة الكويت ذات الستة آلاف منزلٍ، سكانها كلُّهم مسلمون، وقد سعى سلف مدحت

٣٦. المصدر نفسه، ص١٨١.

باشا المدعو نامق باشا لإجبار هؤلاء السُّكان للدُّخول ضمن حدود سلطته، لكنَّهم قاوموا بنجاح كلَّ المحاولات لفرض الضَّرائب عليهم وحافظوا على استقلالهم تحت حكم زعيمهم، أحد أحفاد صباح الذي قدم مع قبيلة «مطير» من نَجد (Nedjed) قبل خمسمائة سنة مضت، وحافظوا منذُ ذلك الحين فعليًّا على استقلالهم بنظام الحكم الجمهوري، وهم بطريقة الانتخاب يختارون قضاتهم وشيوخ الدِّين، وبسبب نطاق مساحة أراضيهم فإنَّ السُّكان كما هو حال سكان البندقيَّة تولَّوا بشكل رئيس المهن البحريَّة، وتجوب سفنهم الصَّغيرة التي تزيدُ عن المائتين بحمولاتها المختلفة أنحاء المحيط الهندي وسواحل زنجبار، وبطريقة عمليَّة احتكروا صيد اللؤلؤ في الخليج الفارسي، وبالرغم من اتخاذهم علم خاص بهم، إلَّا أنَّهم من حين لآخر يرفعون العلم الهولندي أو الإنجليزي؛ لتأمين امتيازاتٍ معيَّنة ممنوحة لهذه الأعلام، ويبدو أنه كان لمدحت باشا الرغبة الشَّديدة لإنهاء هذا الوضع الملتبس لسكَّان الكويت وتنظيم وضعهم، ووفقًا لذلك دخل معهم في مفاوضات، وقدَّم لهم الامتيازات وحقَّ تمتعهم الكامل بالحكم الذَّاتي تحت حكم شيخهم صباح شريطة أنْ يعترفوا بأنَّهم جزءٌ لا يتجزَّأ من الإمبراطوريَّة العثمانيَّة، هذه الشُّروط قُبِلَتْ من الشَّعب في الكويت؛ فأصبحت منطقتهم سنجقيَّة تابعة لولاية بغداد، ونتيجةً لذلك رفعت معاهدة رسميَّة ووقِّعت وتمَّ تأكيدها بواسطة البراءات من القسطنطينية، وأقيمت المدارسُ والمساجد الجديدة في الكويت»[٣٧].

وضمن نفس الفصل تظهرُ الإشارة الثَّانية للكويت، وقد جاءت بالنَّص كالتَّالي:

«وتأمين خطوط اتصالاته بين البصرة والقطيف، والتي تمتدُّ بمسافة ٣٦٠ميل على البحر، عبر المعونات المقدَّمة بالتَّعاون مع عبد الله الصُّباح شيخ الكويت الذي وضع أسطوله تحتَ تصرُّف الباشا لهذا الغرض» [٣٨].

أيضًا كانت الإشارة الثَّالثة للكويت ضمن سياق الفصل الثَّاني، وقدْ جاءت بالنَّص كالتَّالي: "انضمَّ الطرادين إلى مركب مدحت باشا، وأبحر الأسطول الصَّغير معًا متجهًا إلى الكويت". [٣٩]

37.ALI HAYDER MIDHAT BEY,op,cit,P,55-54
38.ALI HAYDER MIDHAT BEY,op,cit, p57,
39.ALI HAYDER MIDHAT BEY, op,cit, p,60

ثالثًا: الكويت في مؤلف النَّسخة التركيَّة:

لا تقلُّ هذه النُّسخة أهميَّة عن النُّسخ المترجمة السَّابقة، وذلك لسببين أساسيين، أولا: بحكم هويَّة شخوص العمل وأصولهم التاريخيَّة، ثانيًا: بحكم جذور الارتباط بين اللغتين التركيَّة والعثمانيَّة [٤٠]، لذلك كان من المهم جدًّا إلقاء الضَّوء على ما جاء عن الكويت في نسخة العمل التركيَّة.

جاءت الإشارة للكويت في الموضع الأوَّل تحت عنوان:

«ضمُّ مدينة الكويت إلى البصرة وإلحاقها بالدَّولة العثمانيَّة»:

«لقد كانت المدينة التي تحملُ اسم الكويت والواقعة على ساحل منطقة نَجد على بعد ٦٠ ميلًا من البصرة، تتكون من ٦٠٠٠ بيت على وجه التَّقريب لا التَّحديد، ولقد كان أهلها مسلمين عن بكرة أبيهم ولم تكن تابعةً لأي جهة على الإطلاق، ولقد عزم من قبلي من الولاة وهو نامق باشا إلى ضمِّ أهلها إلى إدارة البصرة وأن تكون تابعةً لحمايتها وبذل بعض الجهود والمحاولات في هذا الصَّدد، ولأنَّ أهالي هذه المنطقة تعودوا على أنْ يكونوا معفيين تمامًا من أي ضرائب تفرضها أيُّ إدارة ولكونهم لا يرضون بأي نفقات أو مصاريف قد تُفْرَض عليهم من جمارك وضرائب وغير ذلك، فقد ظلوا كما هم غير تابعين لأي جهة لرفضهم هذا.

لقد نزح أصل هؤلاء من ناحية الحجاز، ومنهم رجل يُسمَّى صباح من أفراد أسرة جاءت ها هنا قبل خمسمائة عام من الآن، وهي فرعٌ من قبيلة المطير، وهو يُعَدُّ المؤسِّس الأوَّل للكويت، ومع الوقت بدأ المجتمع في التوسُّع والازدياد وبهذه الهيئة الحاليَّة نشأت الكويت وظهرت للعالم، والشَّيخ عبد الله الصَّباح الرَّئيس الحالي هو واحدٌ من هذه السُّلالة.

معظم أهالي الكويت على المذهب الشَّافعي، ويعتمد النِّظام الإداري عندهم تمامًا على أحكام الشَّريعة. وحاكمهم ومدرسوهم من العلماء والقضاة والمفتين منهم،

٤٠. تختلف اللغة العثمانيَّة مع التركيَّة في خصائص أساسيَّة عديدة، لكن ما نعنيه هنا هو ارتباط الجذور، وتطورات الأصل.

فأيًّا كانوا وبأي وسيلة متاحة كانوا يديرون أنفسهم بأنفسهم باعتبارهم مجتمعًا مستقلًّا على شاكلة جمهورية، وذلك منذُ القدم.

ليس لديهم أماكن مناسبة للزراعة، فما كان بمقدورهم سوى الاشتغال بالتجارة من خلال البحر فحسب، ولكونهم يمتلكون ما يربو على ألفي قطعة بحريَّة تتنوَّع بين سفن كبيرة وصغيرة، فقد اشتغلوا بتجارة اللؤلؤ في مياه عُمان والبحرين، وغالبًا ما يتوجهون إلى الهند وزنجبار بسفنهم الكبيرة للانخراط في التجارة البحريَّة.

وكانوا يرفعون راية خاصة بهم على سفنهم، لذا فقد كانوا حتى وقت قريب يسيحون ويتاجرون ويتنقلون تحت هذه الرَّاية، وبعد فترة تعرضوا للكثير من التَّعديات الأجنبيَّة ولم يأمنوا على رحلاتهم البحريَّة، لذا فقد اضَّطر بعضهم للإبحار تحت راية الفلمنك والبعض الآخر للإبحار تحت الراية الإنجليزية بغية أن يجوبوا البحر بكل راحة وأمان، وبهذا فقد بدأت تدريجيًّا تلوحُ في الأفق أولى...

علامات دخولهم تحت الحماية الأجنبيَّة»[٤١].

«أما هذه الأوضاع فقد كانت بالنسبة لولاية بغداد سببًا كبيرًا لمخاوف تهدد سلامة ممتلكاتها وخاصة لموقع البصرة، لذا فقد استدعى مدحت باشا رئيسهم بينما كان في البصرة، وبعد أن أسدى إليه النَّصائح والتَّوضيحات المهمَّة واللازمة فيما يتعلق بالأخطار المحدقة الحاليَّة والمستقبليَّة، وأخبره أنَّهم لن يقع عليهم أي عبء من حيث النَّفقات أو المصاريف كالضَّرائب الرسميَّة والجمارك وغيرها من التَّكاليف التي لا يرضونها. ثم أعطاه ضمانًا مكتوبًا يكفلُ له ذلك، وعليه فقد تمَّ إقرار إلحاقهم بالبصرة بمحض إرادتهم. وبعد هذا فقد نال عبد الله الصُّباح لقبَ قائم مقام الكويت، ومرَّة أخرى تمَّ إقرار الوضع على ما هو عليه من بقاء الكويت على وضعها الحالي برئيسها وسط حكومته وموظفيها كالقاضي والمفتي، كذلك بقت كما هي مؤسساتها وقواعد حكمها السَّارية بينهم في ديارهم، وتمَّ إجراءُ جميع المعاملات الرسميَّة من إسطنبول والخاصة بالتَّوثيق الرَّسمي للموظفين والاعتراف

41.MİDHAT PAŞA'NIN HATIRALARI:1,HAYATIM İBRET OLSUN,BirinciCilt,YayınaHazırlayan Osman Selim KOCAHANOĞLU,1. BaskıEkim,TEMEL YAYINLARI,ISTANBUL, 1997-124,125.

بهم ضمن النِّظام الإداري وتمَّ استخراج البراءة الشَّريفة للجوامع هنالك وكل ما يلزم من الوثائق لإثبات تبعيتهم وانتمائهم، وعلى الفور تمَّت إزالة جميع الرَّايات الأجنبيَّة من السُّفن وتمَّ تثبيتُ الرَّاية العثمانيَّة بدلًا منها»[٤٢].

كما جاءت إشارة أخرى للكويت تحت هذا العنوان الفرعي ننقلها كما جاءت بالنَّص كالتَّالي:

«عبد الله الصُّباح في صف العثمانيين».

«تمَّ إعداد الحملة الأولى من تجهيزات الجيش السَّادس وتكونت من خمس كتائب مشاة وبعض المدفعيَّة وقوات الخيَّالة؛ ليكونوا فرقة تحت قيادة الفريق نافذ باشا لتنطلقَ في مطالع عام (١٨٧٠) من البصرة راكبة العبارات، وقد عيَّنَ نافذ باشا منصور باشا قائدا لهذه الفرقة. وتوجَّه مع الحملة أهالي الكويت التَّابعة لولاية البصرة واعتبروها كخدمة عسكريَّة مشرِّفة، وانضموا مع هذه القوَّات بعدَ أن حملوا معهم المؤن والتَّمويل على متن ما يقرب من ثمانين سفينة تتراوحُ بين الكبيرة والصَّغيرة. ولكون معظم هذه السُّفن تبحرُ تحت إدارة عبد الله الصُّباح شخصيًّا قائم مقام الكويت، فقد خدمت بالمجان ودون مقابل حتى انتهاء المهمَّة»[٤٣].

قبل أنْ نوردَ الإشارة الأخيرة هناك ذكر لاسم الكويت قد جاء بالنَّص كالتَّالي: «بمجيء مدحت باشا من الهفوف إلى القطيف، وصلتِ السُّفن العائدة من البحرين وعاد معهم الباشا إلى الكويت التي ضمت إلى البصرة في العام السَّابق»[٤٤].

الإشارة الأخيرة للكويت أيضًا تحت عنوان فرعي وقد جاء بالنَّص كالتالي:

« كيف كانت الكويت عام ١٨٧١ ».

وكما أوضحنا سالفًا بإيجاز أنَّ الكويت كانت ناحية تطلُّ على ساحل البحر ويقيم أهلها في خمسة آلاف أو ستة آلاف بيت، وقد كانوا بعيدين تمامًا عن العلم، ويبدو من حالهم أنَّهم يشبهون البدو من...

٤٢. المرجع السَّابق، ص١٢٥-١٢٦.
٤٣. المرجع نفسه، ص١٣٢.
٤٤. المرجع نفسه، ص١٤١.

حيث حياتهم في ذلك الإبان، ولكنهم كالأسرة الواحدة في تضامنهم، ولأنهم لم يكن ليبتعدوا عن الأحكام الشرعيَّة في معاملاتهم وجميع تصرفاتهم، لذلك فقد كان من النَّادر أنْ تظهر بينهم أي مناوشات واضعين نصب أعينهم أنَّ استقرار بلدهم وضمان انتظام أمورها من المهام المشتركة التي يتبنوها. جدير بالذكر أنَّ هناك العديد من الأجانب كالإيرانيين والفلمنكيين أي الهولنديين كانوا يردون هذا البلد للتجارة وكانوا يلتزمون تمامًا بقواعد وتعاليم البلد، ولم يكن هناك حاجة على الإطلاق للجنود العسكريين والشُّرطة، وكانت هذه البلدة تدار بقاضٍ واحد وقائم مقام واحد فحسب»[٤٥].

«ولم يخفى على أحد كذلك أنَّ شوارعها ومبانيها كانت بالغةَ النَّظافة؛ ومن ناحية أخرى فقد كان بعض أهاليها يسافرون إلى الهند وأوروبا جيئةً وذهابًا للتّجارة مع قطاع كبير من النَّاس، ومن ثمَّ فقد نقلوا بعض التجارب، ولم يبدِ أيٌّ منهم اعتراضًا على استقائهم بعض هذه العادات والأصول التي يثبت لديهم أنَّها لا تضرُّ بصالحهم أو تتعارض معهم من حيث المذهب أو الدِّين.

وقد كان هناك نظام متَّبع في الكويت منذ خمسة وثلاثين عامًا آنذاك وهو نظام الحكومة الشرعيَّة التنفيذيَّة والذي لا يتقاضى فيه القاضي أيَّ بدل لقاء نظره في المستندات والمرافعات وذلك لتوجهه العام من أنَّ «أمور العباد حسبة لله»، وعليه فقد كان يؤمن بتطبيق الحقِّ وإمضاء العدالة بين جميع المحليين والأجانب كذلك، وبالتَّالي فقد كانوا ينصاعون لأمره.

وبناءً عليه فقد تركها مدحت باشا منتقلًا إلى البصرة وذلك لأنَّه لن يستحدث أي نظام جديد في هذا البلد المستقر»[٤٦].

التشابه والاختلاف في حضور سلطة المقارنة:

ممَّا لاشكَّ فيه بأنَّ مثل هذه الأعمال المترجمة بلغاتها المختلفة، شكَّلت جسور قويَّة مع العمل في أصله، وعليه فقد رسخت أسس لمعرفة تاريخيَّة ارتكزت عليها

٤٥. المرجع نفسه، ص١٤١-١٤٢.
٤٦. المرجع نفسه، ص١٤٢.

بعض الدراسات والبحوث والأوراق التي تناولت جانب أو أكثر من جوانب التَّاريخ، لذا كان من المفيد إجراء مقارنة تعتمد أوجه التَّشابه والاختلاف فيما بين هذه النماذج، ولكن منعًا لتكرار ذكر الفروقات الشكليَّة والتي سبق وأشرنا إليها في حديثنا عن النُّسخ المترجمة، فسيقتصر التَّركيز على المعطيات التاريخيَّة التي تناولت الكويت.

وهنا نشير إلى تشابه النسختين: العربيَّة والتركيَّة إلى حدٍّ بعيدٍ، خصوصًا فيما ورد عن الكويت، ولعلَّ ما يؤكِّد ذلك تماثل الموضوعات المتعلقة فيها بسياقاتها التاريخيَّة، وتوازي تسلسل الأحداث على امتداد النَّص عند النموذجين، وهذا من زاوية عمليَّة، يدعم وبقوَّة فرضيَّة اعتمادهما على المصدر الأولي، وعند هذا الحد نقف لنترك للقارئ مهمَّة تتبع المواضيع المعنيَّة؛ ليكتشفَ بسهولة مدى التَّشابه الكبير عند النسختين، على جهة مغايرة، سنوجه البحث بشكل خاص لالتقاط نقاط التَّمايز، والتي قد لا تكون ملحوظة باعتبارها استثناءات قليلة، لكن رصدها قد يُمكن من الكشف عن تدخلات وإضافات أو حتى تأويلات قد لا تجسِّد الواقع التَّاريخي.

ونجد في التَّرجمة التي صاغها يوسف كمال حتاتة في كتاب مذكرات مدحت باشا وصف لوصول واستقرار الشَّيخ صباح المؤسِّس وأسرته في الكويت ما يشير بالنَّص «وقد حضروا إلى هذه البقعة هم وجماعة من قبيلة المطير» في المقابل نجدُ ذات السِّياق عند النُّسخة التركيَّة بالنَّص التَّالي: «ومنهم رجل يُسمَّى صباح من أفراد أسرة جاءت ها هنا قبل خمسمائة عام من الآن، وهي فرع من قبيلة المطير»، بمعنى أنَّ النَّص الأوَّل يجعل من قدوم الشَّيخ صباح وأسرته للكويت بالتَّزامن مع قدوم جماعة من قبيلة مطير، فيما جعل النَّص الثَّاني الشَّيخ صباح وأسرته كفرع من قبيلة المطير.

أيضًا في وصف حاكم الكويت الشَّيخ عبد الله الصُّباح أثناء تقديمه لمساعدة عسكريَّة لحملة مدحت باشا تقدم النُّسخة المعرَّبة النَّص التَّالي: «وكانت هذه السَّفائن تابعة لعبد الله الصُّباح المسلوب الإمارة»، ومقابلها في النُّسخة التركيَّة

النَّص التَّالي: «ولكون معظم هذه السُّفن تبحر تحت إدارة عبد الله الصُّباح شخصيًّا قائم مقام الكويت» والملاحظ أنَّنا لم نعثر على عبارة «المسلوب الإمارة» ليس فقط في النَّص المترجم للغة التركيَّة، إنَّما أيضًا انتفى وجودها في النُّسخة المترجمة باللغة الإنجليزيَّة وهي أسبق الأعمال المترجمة للأصل العثماني كما سبقت الإشارة، بل أنها لم ترد حتى في النسخة المعربة الأخرى والموسومة بعنوان مدحت باشا: حياته، مذكراته، محاكمته، ليوسف كمال بك حتاتة وصديق الدملوجي لعلَّنا في هذا المقام نشيرُ إلى عبارة لا يمكننا تجاوزها، وقد يكون لها دلالات عميقة تعين على تحديد موقع المترجم وسلطته على النَّص، فتحت عنوان «أحوال نجد»، وهو موضوع مرتبطٌ في سياقه بموضوع «إلحاق الكويت بالبصرة وجعلها تابعة للدَّولة العثمانيَّة «نجد هذه العبارة» فبقي عبد الله (المقصود عبد الله بن فيصل) بلا معين ولا نصير ولم يرَ لنفسه ملجأً سوى الاستعانة بالمرحوم مدحت باشا»[٤٧]، وهذا يخلق غموضًا والتباسًا شديدين فكيف ينعت مدحت باشا نفسه بالمرحوم؟

علاوة على ذلك هناك نقطة اختلاف أخرى تبدو واضحة بين النسختين، وتتعلق بفترة التحاق الكويت بالبصرة، وهذا نصُّها كما جاءت بالنسخة المعرَّبة، «كان مدحت باشا قد عاد من (الهفوف)؛ فاستصحب تلك السُّفن وتوجَّه بها إلى الكويت التي لحقت بالبصرة منذ سنتين»، ويقابلها النَّص التَّالي بالنُّسخة التركيَّة «بمجيء مدحت باشا من الهفوف إلى القطيف، وصلت السُّفن العائدة من البحرين وعاد معهم الباشا إلى الكويت التي ضمَّت إلى البصرة في العام السابق».

وسنكتفي عند هذه النقطة[٤٨]؛ لننتقلَ لمقارنة النُّسخة المترجمة باللغة الإنجليزية مع النُّسخ المترجمة باللغتين: العربيَّة والتركيَّة، وهنا تؤكِّد المقارنة على اقتضاب واختزال شديد للمعلومات في النُّسخة الأولى عنها في النسخ الأخريات، لكنَّ هذا لا يعنى أيضًا نفي وجود تشابه بما ورد فيها مع باقي النُّسخ، ولا يعني في المقابل انتفاء الاختلاف، وهو ما نعتبره من الأهمية بمكان؛ لنفردَ له هذا الحيِّز.

٤٧. مذكرات مدحت باشا، تعريب يوسف كمال حتاتة، ص١٧٣.

٤٨. هناك بعض الاختلافات الأخرى والتي تتعلق بمسألة تنظيم القضاة في الكويت وفترة عمل القاضي فما بين ما تقديره في النُّسخة العربيَّة بـ (٤٥) سنة قدرت النُّسخة التركيَّة ذلك بـ (٣٥) سنة.

يظهر الاختلاف في تحديد موطن أسرة مؤسس الكويت الشَّيخ صباح قبل وصوله كما أشار النَّص هو وجماعة من قبيلة مطير إلى الكويت، فبحسب هذه النُّسخة فإنَّ هؤلاء قدْ أتوا من نَجد وليس من الحجاز، نقطة أخرى جديرة بالملاحظة وهي الإشارة لوضع الكويت السياسي بعد مفاوضات مدحت باشا مع أهلها، والذي يفيدُ بمنح الأخير التَّمتع الكامل باستقلالهم (الحكم الذَّاتي) تحت حكم شيخهم صباح.[٤٩]، وإلحاقها بولاية بغداد[٥٠]، وهذا التَّحديد لوضعيَّة الكويت السياسيَّة أو على الأقل الامتيازات التي حصلتْ عليها الكويت بعد هذه المفاوضات لم تذكر بهذا الشَّكل من الوصف في النُّسختين السَّابقتين.

وما يُضاف أيضًا لهذا السِّياق مسألة أخرى تتعلق بنتائج تدابير مدحت باشا في الكويت بعد هذه المفاوضات، والتي أثمرت في إنشاء مدارس ومساجد جديدة عُمِّرت في الكويت، وهذه إضافة جديدة لنسخة الترجمة الإنجليزيَّة، لم تقدمها أيٌّ من النُّسختين: العربية أو التركيَّة.

المؤرخين الوطنيين وإعادة قراءة مذكرات مدحت باشا:

تاريخ الكويت...وجدل توظيف النَّص التَّاريخي:

هناك مقولة لأعلام مدرسة الحوليَّات هي «إنَّ الشَّهادات لا تصبح وثائق إلَّا عبر الأهميَّة التي يعطيها المؤرخ لها، وإلَّا عبر العمل الذي يجريه عليها»[٥١]، ومذكرات مدحت باشا كنتاج مكتوب جذبت شريحة كبيرة من المؤرخين الوطنيين المهتمين بتدوين تاريخ الكويت، فقد اعتبر هؤلاء نتاجه بمحتواه التَّاريخي، شهادات على عصره يتسع فيها النِّقاش بالأخذ والرَّد، فما بين التقاء وتباعد مادة النتاج مع واقع الكويت التَّاريخي، تحدَّدت توجهات القراءة ومساراتها النَّقدية، ونستشهدُ في

٤٩. الحاكم في تلك الفترة هو الشيخ عبد الله بن صباح.
٥٠. أشارت النسختين: العربيَّة والتركيَّة بإلحاقها بولاية البصرة وليس بغداد.
٥١. وجيه كوثراني، الذَّاكرة والتَّاريخ – في القرن العشرين الطَّويل – دراسات في البحث التاريخي، الطَّبعة الأولى، دار الطَّليعة، بيروت، ٢٠٠٠م، ص١٩.

هـذا المقـام بدايـةً بإشـارة مـؤرخ الكويـت الأول عبـد العزيـز الرَّشـيد في كتابـه «تاريـخ الكويـت» والمطبـوع سـنة١٩٢٦م، التـي ضمنهـا تحت عنـوان متى تأسسـت الكويت؟ والتـي نقـل فيهـا عـن مدحـت باشـا الاقتبـاس التَّالي:

«فمدحـت باشـا يقـول: (ونسـل هـؤلاء العـرب أي الصبـاح) مـن الحجـاز وكانـوا قبـل خمسـمائة سـنة قـد حـضروا إلى هـذه البقعـة هـم وجماعـة مـن مطير قـال هـذا في أيام (عبـد الله الصُّبـاح الثَّـاني) سـنة ١٢٨٧»[٥٢]، وعـلى الرغـم مـن تقدم إفادة مدحـت باشـا عـلى بقيـة المصـادر التَّاريخيـة التـي أوردهـا الرَّشـيد في هـذا الجانـب، إلَّا أنَّهـا لم تقنـع الأخـير الـذي وصفهـا بأنَّهـا أقـوال لا تطمئن لها النفس[٥٣]، وبطبيعة الحـال فإن عرض إشـكاليَّة من مثل إشـكاليَّة تأسـيس الكويت كان لابدَّ لها أن تسـتدعي كافة التصوُّرات التـي قدمتهـا المصـادر التاريخيَّـة المكتوبـة بهـذا الخصـوص، ولذلـك كان غالبـاً ما يجري اسـتحضار مذكـرات مدحـت باشـا عنـد الإشـارة لمثـل هذا الحـدث، ففي كتاب سـيف مـرزوق الشَّـملان، «مـن تاريـخ الكويـت»، تجـد نصـوص مذكـرات مدحـت باشـا عـن الكويـت مـكان للاسـتيعاب والتفكيـك، فبقـراءة نقديَّـة فصـل الشَّـملان بـين مـا يتماشـى مـع واقـع تاريـخ الكويـت ومـا يتعـارض معـه، وهـذا مـا نجـده عنـد معالجتـه لإشـكالية التأسـيس، ومنعًـا للإطالـة سـنحيلُ القـارئ لـرد الشَّـملان عـلى مـا اعتـبر مغالطـات تاريخيَّـة وردت عـن تاريـخ ونشـأة الكويـت في مذكـرات مدحـت باشـا[٥٤]، أيضًـا في موضـع آخـر اعتمـد الشَّـملان نصوص المذكرات مـن جديد كمرجعيَّـة لكتابة مـادة تناولـت أعمـق الإشـكالات السياسـيَّة في تاريـخ الكويـت، وتحـت عنـوان «جعل الكويـت قائمقاميـة عثمانيَّـة»، أشـار الأخـير بأنَّه «في أثنـاء زيارة مدحـت باشـا للكويت اتفـق مـع الشـيخ عبـدالله عـلى أن تكـون الكويـت قائمقاميَّـة عثمانيَّـة تتبع ولايـة البصرة ويُسـمَّى الشَّـيخ عبـد الله قائـم مقـام ... وقـد أعفى مدحـت باشـا الكويتيين مـن الخدمة العسـكريَّة والضَّرائـب الجمركيَّـة والتَّكاليـف الأميريَّـة ولم يغيِّر مدحـت باشـا شـيئًا من

٥٢. عبـد العزيـز الرَّشـيد، تاريـخ الكويـت، الجـزء الأوَّل والثَّـاني، أعـده للنَّـشر، شـيخة عبـد اللطيـف الرَّشـيد، الكويـت، ٢٠١٨م، ص١٦.
٥٣. نفسه.
٥٤. سيف مرزوق الشَّملان، من تاريخ الكويت، الطَّبعة الثَّانية، ذات السَّلاسل، الكويت، ١٩٨٦م، ص١١٢-١١٣.

أمور الكويت بل تركها كما كانت . وإنَّما أمر بإنزال الأعلام الأجنبيَّة كما يقولُ في مذكراته ورفع العلم العثماني بصفة رسميَّة، وقد جاء معه بمجموعة من الأعلام العثمانيَّة أعطاهم بعضها؛ فرفعوها على سفنهم»[٥٥].

وكان على الأكاديميين المتخصِّصين التَّوقف عند هذا النَّص التَّاريخي تحديدًا[٥٦]، لإعادة تقيمه ومعالجته معالجة تاريخيَّة تخضع لمعايير وقواعد التَّحليل النَّقدي المتوافق مع آليَّات منهج البحث التَّاريخي وأدوات النَّقد المعاصر، وقراءة المضمون قراءة جديدة تأخذ بعين الاعتبار الظُّروف التي أحاطت بالعمل من كل جوانبه، فقد أدَّى الاندفاع نحو توظيف مثل هذه المصادر التاريخيَّة من قِبَلِ بعض المؤرخين العراقيين داخل سياق سياسي وأيديولوجي متحيز ومتوافق مع مشروع النِّظام العراقي بضم الكويت[٥٧]، إلى ردَّة فعل قويَّة ضد التَّوظيف المتطرف للتَّاريخ، وعلى هذا النَّحو، فقد كانت مهمَّة ترسيخ الهويَّة الذاتيَّة المستقلة، تبعاتها الإيجابيَّة على الساحة الأكاديميَّة، والتي شهدت ظهور دراسات تاريخيَّة مثَّلت اتجاه جديد للمدرسة التاريخيَّة في الكويت.

ولما كان مشروع هذه الورقة يستهدف استجواب النَّص المعني بتاريخ الكويت في مذكرات مدحت باشا، وتقديم ما نحسبه إضافة جديدة للجهود البحثيَّة السَّابقة، فإننا سننطلق من زاوية أخرى، زاوية تستنطق الذات وتساءل الذَّاكرة من داخل موقعها في النتاج، وحتى نقترب من الذَّات نستعين بدايةً بمقدمة العمل والتي نعتقدُ أنَّها تحمل الكثير من الدَّوافع والمشاعر والنَّزعات النفسيَّة، وبتوسيع هذه المسألة، يُمكن القول بأن مقدمة العمل قد تكشفُ عن ظروف إنتاجه، أبعاده، دوافعه، وتوجيهات الذَّات لمساراته.

٥٥. المرجع السَّابق، ص ١٣٦-١٣٧.

٥٦. قدم الغنيم قراءة موضوعيَّة للنَّص مستندًا على أدلة وشواهد تفسِّر طبيعة العلاقات بين الكويت ومدحت باشا، انظر يعقوب يوسف الغنيم، الكويت تواجه الأطماع، الطَّبعة الأولى، مركز البحوث والدِّراسات الكويتيَّة، الكويت ١٩٩٨م، ص ١٢١-١٢٢- كما قدَّمت الصَّباح أيضًا قراءة تحليله لطبيعة العلاقة بين الكويت والدَّولة العثمانيَّة أثناء في ولاية مدحت باشا لبغداد، أكَّدت فيها على الوضع السياسي المستقل للكويت، انظر، ميمونة الصَّباح، الكويت حضارة وتاريخ، الطَّبعة الرابعة، ٢٠٠٣،ص١٩٠-١٩٣.وهذه نماذج على سبيل المثال لا الحصر.

في المنفى وتحديدًا بسجن الطَّائف سجل مدحت باشا في مثل هذه الظُّروف الصَّعبة من «التَّضييق والتَّعذيب»، ترجمته وأعماله منذ ولادته ١٨٢٢م حتى سنة٨١/ ١٨٨٢م، وبلا أوراق رسميَّة كما يذكر أو براهين وثائقيَّة، استحضرت ذاكرته وهي مرجعيته الأساسية كل «التَّفصيلات الشَّاملة لأعظم الوقائع السياسيَّة»، بمعنى ما أنَّ كلَّ ما كتب عن التحوُّلات السياسيَّة التي حصلت في عصره خلال الستين سنة الماضيَّة من الناحية العمليَّة يعتمد على الذاكرة[٥٨]، فهي وعاء لتجاربه المعيشة والصِّلة الأصيلة لوعيه بالماضي[٥٩]، وبالرغم من تلك الحقيقة يشكك مدحت باشا وبتناقض عميق في سلامة مرجعيته، وبلا ضمانة يتيح لإمكانيَّة الالتباس وإضعاف صدقية النتاج من الداخل، «ومن المعلوم أنَّ الإنجازاتِ والوقائع التي حدثت على مدار كل هذه السَّنوات لا يُمكن على أي نحو أن تبقى في الذَّاكرة بكل تفاصيلها وتفرعاتها وأيامها وشهورها»[٦٠]، إنَّ ما يُمكن قوله هنا أنَّ مذكرات مدحت باشا وبقدر الجهد المبذول في كتابتها، لكن يبقى طابع تصورات الذَّاكرة بما تحمله من معوقات معرفية موروثة، تغطى نصوص النَّتاج على امتداده، بلْ كانت هي حجر أساس بنائه المعرفي، و» إعطاء الذَّاكرة امتيازًا كبيرًا يعني الغطس في السَّيل العرم للزَّمن «[٦١]، هذا في حدِّ ذاته منبع القلق والشَّك في صدقيَّة المادة المتذكرة، فما بال لو أُضيف إلى هذا الهاجس تعرض الذَّاكرة لهجمات النَّسيان.

ولما كانت الذَّاكرة في أساسها انفعال[٦٢] فما الذي استوجب هذا الانفعال عند مدحت باشا؟ بمعنى ما الظُّروف التاريخيَّة التي طُلب فيها واجب الذاكرة؟[٦٣] بمعزل عن تشجيع رفقاء السِّجن لكتابة مذكراته، فإنَّ المحفِّز القوي لمدحت باشا

٥٧.أصدر العراق بعد غزوه للكويت عام ١٩٩٠م كتاب «الهويَّة العراقيَّة للكويت» وفيه استخدم مبدأ الحق التَّاريخي استنادًا على مبررات وادعاءات مزيفة لشرعنة احتلاله العسكري للكويت. انظر، عبد الله الهاجري، تاريخ الكويت – الإمارة والدَّولة – التَّأسيس – التطوُّر – الهويَّة –المجتمع، الطَّبعة الأولى -الكويت، ٢٠١٧م، ص٢٨٦.

٥٨.مذكرات مدحت باشا، تعريب يوسف كمال حتاتة، ص٣-٤.

٥٩.انظر بول ريكور الذَّاكرة التَّاريخ، النسيان، ترجمة جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد المتَّحدة، الطَّبعة الأولى، ٢٠٠٩، ص١٥٦.

60.MİDHAT PAŞA'NIN HATIRALARI,p16

٦١.بول ريكور الذَّاكرة التَّاريخ، النسيان، ص٥٦٧.

٦٢في التَّقليد الفلسفي اليوناني اعتبر أرسطو الذَّاكرة انفعال، المرجع السَّابق،ص٤٧.

٦٣. يعتقد ريكور أنَّ الذَّاكرة تُطلب في ظروف تاريخيَّة، المرجع نفسه، ص١٤٥.

هو تقدير الذَّات عند الآخرين، وبـ» إثبات ما له من الأيادي في خدماته المشهورة التي خدم فيها الحكومة «[٦٤]، وهذا ما شكَّل حجر زاوية في العمل، فهو ردَّة فعل ضد نفيه وسجنه وتعذيبه بسبب التُّهم التي وجِّهت له بتهمة التَّآمر واغتيال السُّلطان عبد العزيز؛ لذا كان العمل أداة لتبرئة ساحة مدحت باشا والضَّغط على السُّلطة والرأي العام معًا، وهكذا انبثقت أهداف العمل من أساسين: الأول: الإشادة بمنجزات مدحت باشا الإصلاحيَّة خلال فترة خدمته بالدَّولة، والثَّاني الدِّفاع عن مدحت باشا ورفض كلِّ التُّهم الموجه له بضلوعه في اغتيال السُّلطان العثماني.

ولما كان مدحت باشا يكتب وفقًا وانسجامًا مع تلك الأهداف، فلابدَّ أنَّ تضغط الذَّات لتوجيه النَّص، ويُمكننا أنْ نستعين بمثالٍ موجز لتبيان ذلك، نرصده من المادة التاريخيَّة المتعلِّقة بالكويت، فـ «ضمَّ مدينة الكويت إلى البصرة وإلحاقها بالدَّولة العثمانيَّة»، هو بالنسبة لمدحت باشا منجز تاريخي يحسب له، ويضفي تميُّزًا لموقعه وتفردًا لجهوده عن سابقيه الذين فشلوا في تحقيق المهمَّة كما يقول: «ولقد عزم من قبلي من الولاة وهو نامق باشا إلى ضم أهلها إلى إدارة البصرة وأن تكون تابعةً لحمايتها وبذل بعض الجهود والمحاولات في هذا الصَّدد»[٦٥]، ومن هذا الموقف الذي يدفع القارئ للتَّركيز على نقطة التحوُّل في مشروع الإصلاح الكبير للدَّولة العثمانيَّة قبل وصول مدحت باشا للسُّلطة في بغداد وبعده، حمَّلت ذات النَّص قدرًا كبيراً من الإمكانيَّات للتَّوظيف الشَّخصي؛ لذلك كان من المتوقع أن تُظهر تصورات الذات والتباساتو إضرابات في سياقات النَّص، وهي بطبيعة الحال غير متوافقة مع المنطق بل تتعارض مع الواقع التَّاريخي، ويقف المؤرخ الغنيم على مثل هذه الالتباسات ويقدِّم ملاحظاته عنها في كتابه «الكويت تواجه الأطماع» ،نعرض بعضها لدعم ما أشرنا له وهي كالتَّالي:

١ - لم يكن مدحت باشا يملك الحقَّ في إصدار فرمانات، إنَّما كانت تعطى بموجب قرار من السُّلطة المركزيَّة، وحتى قبول إصدار الفرمان من الجهة الأخيرة لا يتمُّ

٦٤. مذكرات مدحت باشا، تعريب يوسف كمال حتاتة، ص٤.

65.MİDHAT PAŞA'NIN HATIRALARI,p124

بالصورة التي عبَّر عنها مدحت باشا في حالة الكويت، وهذا في حدِّ ذاته يدعو للشَّك في مسألة الفرمان.

٢- كيف يكون حاكم الكويت تابع لولاية البصرة في ذات الوقت مستقل استقلال ذاتي عنها؟

٣- كيف يكون حاكم الكويت تابعًا للدَّولة العثمانيَّة وفي ذات الوقت معفي من أي رسوم؟(٦٦).

وعلى الرغم من أنَّ دلالات النَّص في مذكرات مدحت باشا تقرُّ بتبعيَّة الكويت للبصرة، إلَّا أنَّها تحتضن من الدَّاخل تناقضات عميقة تكفي لهدم أُسس تصورات الذاتيَّة المتعذر تخليها عن وهم السُّلطة والسَّيطرة.

وضمن هذا السياق، تضفي الذَّات معيار جديد لحضورها في النص؛ لتأكِّد تفوُّق النَّزعة الذاتيَّة بدلًا من الموضوعيَّة في العمل؛ فباستخدام الأخير أسلوب الإشارة تعبيرًا عن تعظيم الذَّات، وقد يُعَدُّ أيضًا تعبير عن ظرف سياسي واجتماعي متناغم مع أسلوب الأرستقراطيين الخاص في عصر التَّنظيمات أوساط القرن التَّاسع عشر (٦٧)،كقوله: «حادث مدحت باشا ...جمع مدحت باشا.. أعلن مدحت باشا... إلخ»، وبطريقة قد تبدو غير مألوفة نوعًا ما للقارئ، حتى يظنَّ بانفصال المؤلف عن المشار إليه في النَّص، تتجلَّى السُّلطة المطلقة للمرجعيَّة الذاتيَّة، وقوتها كسلطة معرفيَّة على النَّص.

إنَّنا نصل هنا إلى نقطة مركزيَّة وهي أنَّ هذا النتاج بما له من قيمة تاريخيَّة، يستدعي قراءة مزدوجة، الأولى قراءة في الموضوع، والأخرى قراءة في الذَّات الفاعلة، والجمع بين مستويي القراءة شرطٌ أساسي لفهمه من جميع حيثياته.

٦٦. يعقوب يوسف الغنيم، مرجع سابق، ص١٢١-١٢٢.

67.MİDHAT PAŞA'NIN HATIRALARI,p xxxix

الخاتمة:

لم يثر نتاج أدبي من جنس المذكرات الشخصيَّة بسماته وخصوصياته الأدبيَّة، جدل تورط بخلق إشكاليَّات تاريخيَّة وسياسيَّة كبيرة في التَّاريخ المعاصر، وعلى مستوى العلاقات الدوليَّة بين: الكويت والعراق، كما أثارته مذكرات مدحت باشا أو تحديدًا "تبصرة عبرت"، ومصدر الجدل في اعتقادنا يرجع في أساسه إلى طبيعة المادة المكتوبة في هذا النتاج والمرتكزة على السَّرد التَّاريخي لتجارب مدحت باشا الشخصيَّة بتداخلات الذَّات وتورطها في المضمون، وإلى أيضًا الممارسات المستمرَّة لقراءة النَّص بعيدًا عن سياقه وظروفه التاريخيَّة، وقراءة منعزلة عن فهم الذَّات الفاعلة وبعيدة كل البعد عن الأخذ بعين الاعتبار الأسس العلميَّة والمنهجيَّة للتَّعامل مع هكذا مصادر تاريخيَّة، لابدَّ أنْ تعطى مجالًا واسعًا لتوظيف مقصود للنَّص وتأويله بما يخدم توجهات المؤول.

في المقابل تُبرز مشكلة قراءة مذكرات مدحت باشا وفقًا للأحكام المسبقة وتحيزات السياسة، إصرار المطالبة بقراءة موضوعيَّة تضع العمل في مستوى قابل للنَّقد والتَّحليل والتَّفسير، قراءة تقصي كل التَّحيزات القوميَّة لتتجلى كل الحقائق التاريخيَّة، وهي مطالب شجَّعت لإعادة قراءة وإنتاج من قِبَل مؤرخي الكويت عبر ممارسة نقديَّة تتناسب مع جميع مستويات النَّص، وقد كان لذلك في واقع الأمر أثره المباشر في خلق اتجاهات فاعلة لكتابة التَّاريخ الوطني بدأت منذ أكثر من ثلاثين سنة .

إنَّ ما تمَّ تقديمه في هذه الورقة، لا يُعَدُّ إلَّا بداية لدراسات تاريخيَّة أكاديميَّة أعمق ترسِّخ بما تمتلكه من ذهنيَّة علميَّة وأدوات منهجيَّة الأسس الصحيحة لكتابة التَّاريخ الوطني.

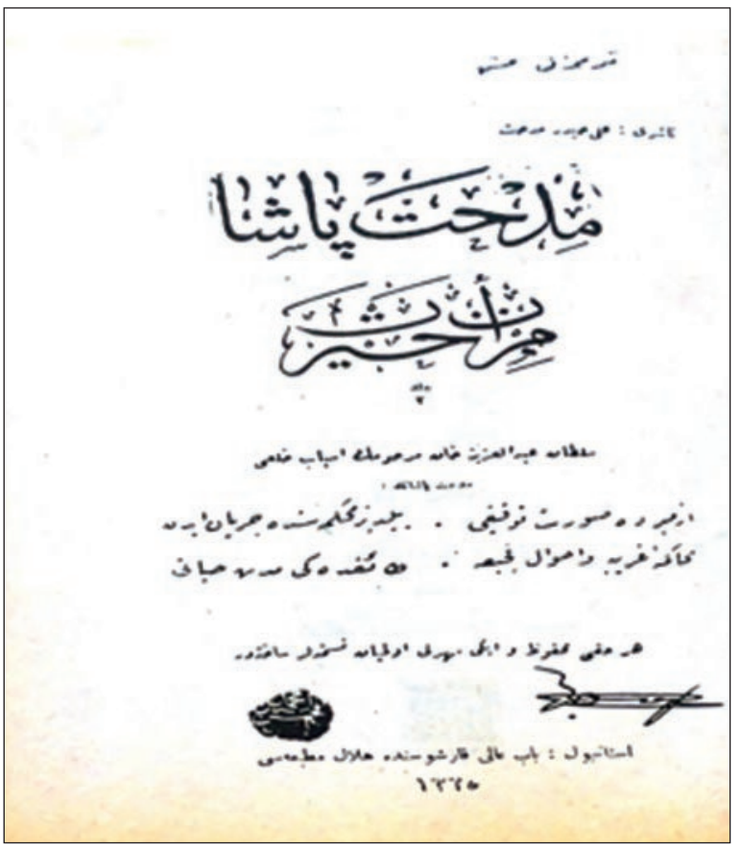

الصُّورة مأخوذة من كتاب:

MİDHAT PAŞA'NIN HATIRALARI,YILDIZ MAHKEMESİ VE TÂİF ZİNDANI,İkinciCiltYayınaHazırlayan Osman Selim KOCAHANOĞLU,1. BaskıEkim,TEMEL YAYINLARI,ISTANBUL, 1997.

الصُّورة مأخوذة من كتاب

.MİDHAT PAŞA'NIN HATIRALARI,HAYATIM İBRET OLSUN,BirinciCilt,YayınaHazırlayan Osman Selim KOCAHANOĞLU,1. BaskıEkim,TEMEL YAYINLARI,ISTANBUL, 1997.

الكويت ودعم القضية الفلسطينية: المحسنة شاهة حمد الصَّقر

د.خالد يوسف الشطي
رئيس مركز الكويت لتوثيق العمل الإنساني«فنار»

مقدمة:

عُرفت دولة الكويت منذ نشأتها قبل أربعة قرون وبالتَّحديد منذ عام ١٦١٣م بأعمالها التطوعيَّة والإنسانيَّة والخيرية[١]وفزعاتها لنجدة المنكوبين في الدول والمجتمعات، وذلك منذ أنْ اجتمعت تلك الأسر العربيَّة؛ لتستقرَّ في الكويت وتُكوِّن مجتمعًا متكاملا متعاونًا متكافلا، محبًّا للخير وفاعلا له.

فقد ذكر الباحث السَّيد عبد الله الطَّائي في كتابه الشّراع الكبير مساعدات الكويت لعمان في عام ١٦٢٤م[٢]، ولم تألُ الكويت جهدًا عن تقديم المساعدات للقبائل المجاورة للكويت والمنكوبين في الجزيرة العربيَّة، كما قدَّمت الكويت الكثير من المساعدات للدولة العثمانيَّة، وحصل حكام الكويت على العديد من الأوسمة التقديريَّة لدورهم في دعمها ومناصرتها حينما تُطْلب المساعدة، فقد حصل الشَّيخ جابر بن عبد الله بن صباح حاكم الكويت الثالث (١٨٥٩-١٨١٤) على لقب كريم الجزيرة العربيَّة، وأهدت الدَّولة العثمانيَّة لابنه الشَّيخ صباح الحاكم الرابع (١٨٥٩-١٨٦٦) وسامًا فخريًّا عام

١ـ العمل التطوعي الكويتي في أربعة قرون د. خالد يوسف الشطي، ط١، ديسمبر ٢٠١٨م، مركز الكويت لتوثيق العمل الإنساني «فنار»
٢ ـ عبد الله الطائي، الشراع الكبير، ص١، ١٩٨١م.

١٨٦٣م، كما منحت الدَّولة العثمانيَّة الشَّيخ عبد الله بن صباح (١٨٦٦-١٨٩٢) وساما مجيديًّا لدوره المتميِّز في دعمها ومساعدتها عند محنها[٣]، واستمرَّ حصول حكام الكويت على الأوسمة لما قدموه من مساعداتٍ، مثل مساعدات الكويت المشهودة والكبيرة في أزمة الهيلك التي عصفت بالجزيرة العربيَّة وفارس والعراق منذُ عام ١٨٦٨م حتى ١٨٧٢م ، وقدَّمت الكويت فيها المساعدات الكثيرة لتلك الجائحة والمجاعة الكبيرة، واستمرَّت المساعدات الإنسانيَّة حتى حصلت الكويت في ٩/ ٩/ ٢٠١٤م على لقب المركز العالمي للعمل الإنساني، وحصل أميرها الرَّاحل الشَّيخ صباح الأحمد الجابر الصُّباح رحمه الله على لقب قائد العمل الإنساني [٤].

فلم تسمع الكويت عبر تاريخها عن أزمة وكارثة إلا وقدمت لها المساعدات الإنسانيَّة وفزعت لنجدتها، ففي عشرينات القرن العشرين فزعت الكويت لنجدة العراق من المحتل الغاصب وأمدَّت الثُّوار بالسِّلاح[٥]، وبعد وعد بلفور عام ١٩١٧م بوعد اليهود بوطن لهم في فلسطين، تفاعلت الكويت لنُصرة فلسطين وأهلها، فعندما زار الكويت الشَّيخ محمد أمين الحسيني مفتي القدس عام ١٩٢١م وطلب من أهل الكويت الفزعة لنجدتها، وشرح احتياجات فلسطين في ذلك الوقت، بدأت الكويت في تقديم المساعدات، وقد قدَّم حاكم الكويت الشَّيخ أحمد الجابر دعمًا كبيرًا أثناء زيارة الشَّيخ الحسيني للكويت[٦]، كما قدَّم الشَّعب الكويتي المساعدات لطلب ترميم المسجد الأقصى عام ١٩٢٤م، وفي عام ١٩٣٤م أسَّس أبناء الكويت لجنة جمع التَّبرعات لنُصرة قضيَّة فلسطين ضد سياسة الإنجليز التي كانت تمارسها ضد أبناء فلسطين ودعم اليهود وتسهيل هجرتهم،وعندما اندلعت الثَّورة الكُبرى في فلسطين عام ١٩٣٦م تداعى أبناء الكويت لتشكيل لجان لجمع التَّبرعات، واستمرَّ أبناء الكويت في نُصرة قضيَّة فلسطين إلى يومنا هذا، مواصلين دعمهم ونجدتهم، ورفضهم للتَّطبيع حتى يرجع الحقُّ لأهله وتتحرر فلسطين من أيدي اليهود الصهاينة الغاصبين.

٣ ـ الكويت والخليج في السالنامة العثمانية، أ. طلال الرميضي،ص٨٨
٤ ـ مجلة فنار، السنة الأولى العدد ٣، تصدر عن مركز الكويت لتوثيق العمل الإنساني "فنار"، سبتمبر ٢٠١٨م.
٥ ـ فلسطين في عيون الكويت، د. خالد الشطي، ص١٩، مركز الكويت لتوثيق العمل الإنساني «فنار»، ٢٠١٨، ط١.
٦ـ فلسطين في عيون الكويت، د. خالد يوسف الشطي، ص٧٢.

الثَّورة الكُبرى بفلسطين عام ١٩٣٦م.

قامت في فلسطين ثورات عديدة للوقوف أمام الإنجليز واليهود الصهاينة، خاصةً بعد وعد بلفور بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين وبعد تعيين الإنجليز هربرت صموئيل اليهودي مندوبًا ساميًا على فلسطين وإقرار هيئة الأمم انتداب بريطانيا على فلسطين في ٢٤ تموز ١٩٢٢م، وعند زيارة بلفور لافتتاح الجامعة العبرية في فلسطين عام ١٩٢٥م كان الإضراب الشَّامل تعبيرًا عن رفضهم لهذا التَّحدي والاعتداء على فلسطين، وحينما خرجت مظاهرات يهوديَّة عام ١٩٢٨م بالمطالبة بحائط البُراق اشتعلت ثورة البُراق عام ١٩٢٩م، واستمرَّت الثَّورات والمظاهرات عام ١٩٣١م بعقد مؤتمر في القدس، مطالبين بالدِّفاع عن حائط البُراق، وحضر هذا المؤتمر العديد من العلماء والزُّعماء من فلسطين ودول العالم العربي والإسلامي، عازمين على الدِّفاع عن حائط البُراق، ومع زيادة هجرة اليهود لفلسطين قامت المظاهرات عام ١٩٣٣م، وفي عام ١٩٣٥م تمَّ عقد المؤتمر العام في فلسطين، وأصدروا قراراهم بتجريم بيع الأراضي في فلسطين لليهود.

ومع تسهيل الإنجليز لليهود بالهجرة لفلسطين أضرب أهالي فلسطين عام ١٩٣٦م إضرابًا شاملاً لمدة ستة أشهر، وطالب المضربون بتشكيل لجنة عربيَّة عُليا للضَّغط على بريطانيا لإيقاف الهجرة اليهوديَّة ومنع انتقال الأراضي لليهود والمطالبة بإنشاء حكومة وطنيَّة، وبدأت الثَّورة الكُبرى في فلسطين، ودعت العالم العربي والإسلامي لنُصرتها والوقوف معها.

الكويت ودعم الثَّورة الكُبرى بفلسطين عام ١٩٣٦م.

دعا أبناء الكويت مفتي فلسطين الشَّيخ محمد أمين الحسيني لزيارة الكويت للاطِّلاع على ما يدور في فلسطين، وبعد أن عرفوا ما يحدث من ثورة كُبرى تداعوا لتأسيس لجنة لجمع التَّبرعات، وعقدوا اجتماعًا جماهيريًّا حضره مائة وخمسين من العلماء والوجهاء والشُّعراء والتُّجار، وتمَّ إلقاء الخطب المؤيدة للنِّضال الفلسطيني، والإعلان عن حملة لجمع التَّبرعات، وتمَّ جمع عشرة آلاف روبيَّة، منها تبرع السَّيدة

شاهة الحمد الصَّقر بدكانها التُّجاري الذي تمَّ بيعه بمبلغ ألفين وخمسمائة روبيَّة.

كما عقدت نساء الكويت اجتماعًا، وتمَّ جمع التَّبرعات النقديَّة والذَّهب، وقد بلغت قيمة التَّبرعات ثلاثين ألف روبيَّة، وتمَّ إرسال التَّبرعات لفلسطين من خلال الشَّيخ محمد أمين الحسيني مفتي القدس، وأرسل الشَّيخ يوسف بن عيسى القناعي رسالة لجمعيَّة الشُّبان المسلمين في مصر يخبرهم بما حدث في الكويت من جمع للتَّبرعات، وقيمة المبلغ الذي تمَّ جمعه(عشرة آلاف روبيَّة) في بداية حملة جمع التَّبرعات، وأنَّ سيدة من كرائم أهل الكويت لا تريد أن يعرف مبرتها إلا الله وحده تبرعت لجهاد فلسطين بدكان تملكه، وقد بيع الدُّكان بألفين وخمسمائة روبيَّة.

وكتبت مجلة الفتح تتحدث عن هذا التَّبرع والتَّفاعل من أبناء الكويت، وذكرت ما حدث فقالت فحيَّا الله الكويت وبيَّض وجوه الكويتيين [٧]،وقد تحدَّث أكرم زعيتر في يومياته فقال: تألفت في الكويت لجنة لمساعدة مجاهدي فلسطين، فجمعت لذلك عشرة آلاف روبيَّة، وتبرَّعت سيدة كويتيَّة لم تسمح بنشر اسمها بدكانة تملكها، فبيعت الدُّكانة بمبلغ (٢٥٠٠) روبيَّة لمصلحة قضيَّة فلسطين، بارك الله فيها[٨].

وتحدَّث الشَّيخ عبد العزيز الرَّشيد عن هذا الحدث وقال: في أثناء عام ١٩٣٦م كانت مشكلة فلسطين تزداد تعقيدًا، والمناوشات بين العرب واليهود مستمرة، كما ظهرت صيحات في شتى الدّول العربيَّة والإسلاميَّة للتَّبرع لفلسطين، وفي عام ١٩٣٦م جُمعت في الكويت تبرعات لفلسطين، بلغت قيمتها ١٠ آلاف روبيَّة هنديَّة، فكتبت مجلة الفتح تقول: بيَّض وجوه الكويتيين [٩].

التَّعرف على اسم المتبرعة شاهة الصَّقر:

لم يعرفْ أحدٌ اسم المتبرعة منذ عام ١٩٣٦م عندما تبرعت لحملة جمع التَّبرعات، سوى أهلها وإخوانها الذين كانوا مقربين منها وعاصروا معها حادثة وقصة تبرعها، حيث ظلَّ اسمها مجهولاً حتى بداية قيام بيت الزَّكاة بعمل سلسلة كتاب

٧ـ مجلة الفتح العدد (٥٢١) العدد الحادي عشر ١٣ شعبان ١٣٥٥-١٩٣٦، ص٦.
٨ـ الحركة الوطنية الفلسطينية، ١٩٣٥-١٩٣٦، أكرم زعيتر، ص٢٢١.
٩ـ عبدالعزيز الرشيد، سيرة حياته، د. يعقوب يوسف الحجي، ص٥٨٧.

محسنون من بلدي الذي يوثِّق سيرة المحسنين والمحسنات من الكويت، وحينما تمَّ اختيار الكتابة عن سيرة المحسنة شاهة الحمد الصَّقر تمَّ مقابلة أخيها السَّيد جاسم الحمد الصَّقر لمعرفة المزيد من سيرتها وتبرعاتها الخيريَّة، وكان ذلك في حدود عام ٢٠٠٠م، فأعطى لجنة تحرير الكتاب أثناء مقابلتهم هذه الوثيقة التي تؤكِّد على تبرعها لفلسطين عام ١٩٣٦م وذكر قصتها بالتَّفصيل فقال:

ورثت شاهة الحمد الصَّقر من والدها منزلها الذي تسكن فيه ومخزن صغير مناصفة مع أختها يبلغ قيمته ٨٠٠ روبيَّة والدُّكان التُّجاري في السُّوق، ولما سمعت عن تبرع أهل الكويت لنُصرة فلسطين أرادت أن تتبرعَ بأغلى ما لديها من ممتلكات وهو محلها في السُّوق، وقد تمَّ بيعه بقيمة ٢٥٠٠ روبيَّة[١٠] .

شاهة الصَّقر مسيرة إنسانية:

ولدت شاهة الحمد الصَّقر عام ١٨٩٠م، وترعرت في أسرة تجارية محبة للخير والعطاء والبذل، كانت شاهة الحمد الصَّقر محبة للخير لا ترد سائلا تنفق أموالها على الأسر المحتاجة والمتعففة بسرية تامة حفاظًا على تعففهم وكرامتهم، وتبرعت لفلسطين عام ١٩٣٦م، وتبرعت عام ١٩٣٧م لإعادة ترميم مسجد السُّوق، وهو الذي بناه جدَّها يوسف الصَّقر عام ١٢٥٥هـ الموافق ١٨٤٠م، كما تبرعت بدكان لها في قيصريَّة التُّجار؛ ليكونَ مقرًّا للمكتبة الأهليَّة التي أسسها أبناء الكويت لتكون محلا للقراءة والاطِّلاع[١١].

توفيت السَّيدة شاهة حمد الصَّقر رحمها الله في عام ١٩٧٢م، بعد حياة حافلة بالعطاء والإحسان.

١٠ ـ محسنون من بلدي، ج٢، بيت الزكاة، ط٢، عام ٢٠٠١م، ص٥٨.
١١ـ من أوائل المؤسسات التطوعية والخيرية بدولة الكويت، د.خالد الشطي، مركز الكويت لتوثيق العمل الإنساني "فنار"، ٢٠١٩م.

نص الوثيقة:

عندما حضر الشَّيخ محمد أمين الحسيني للكويت بدعوة من أهلها كانت لديه مجموعة من الاحتياجات لفلسطين، وكان منها طلبٌ لشراء أرض وقف لبناء مبنى الجمعيَّة الخيريَّة الإسلاميَّة في مدينة يافا بفلسطين[١٢]، وقد كان تبرع السَّيدة شاهة الصَّقر رحمها الله قد ساهم في شراء هذه الأرض لبناء مقر الجمعيَّة.

ولما وصل التَّبرع لهم أعدوا كتاب شكر للمتبرعة الكريمة على تبرعها السخي وأرسلوه لها في عام ١٩٣٧م[١٣].

من الجمعيَّة الخيريَّة الإسلاميَّة بفلسطين.

١٢ـ لقد قمت بالتواصل مع الصديق والأخ العزيز/ طالب مسلم، أحد أبناء فلسطين المقيمين في الكويت وطلبت منه معلومات عن الجمعية الخيرية الإسلامية بفلسطين، فقام مشكورا بالتواصل مع أ. محمد الصفدي في يوم الأربعاء ١١/ ١١/ ٢٠٢٠ من مركز إحياء التراث في أبوديس القدس وأفاد بأن الجمعية الخيرية الإسلامية تأسست في عام ١٩٢٨م، وقد قاموا بمخاطبة الشيخ محمد أمين الحسيني مفتي القدس ورئيس المجلس الأعلى الإسلامي طالبين منه تخصيص أرض وقفية لبناء مقر لها في يافا، وهذه المعلومات حصل عليها الشيخ عبدالعظيم سلهب مدير أوقاف القدس.

١٣ـ محسنون من بلدي، بيت الزكاة، ط٢، ج٢، ٢٠٠١م، ص٥٨.

كتاب شكر:

حضرة صاحبة العفاف والكرم المحسنة الفاضلة السَّيدة شاهة ابنة المرحوم حمد الصَّقر حفظها الله وجعلها ذخرًا للمسلمين آمين.

تحية واحترامًا. وبعد

نطلب من أفضالك وأفضال إخوانك عبد الله وعبد العزيز ومحمد وجاسم أن يبعثوا لنا رسومهم إلى جمعيتنا مع ناقل التَّحرير لكي نخصُّ بالشَّرف ونضمُّهم لجمعيتنا كتذكارٍ لهم على ما أبدوه من الجميل والإحسان لإخوانهم المنكوبين أبناء فلسطين المنكوبة البائسة.

أدامك لهم عونًا يا سيدة المحسنين.

أرجوك أن تبعثي مع النَّاقل شيئًا ملموسًا من آثارك؛ ليبقى مع صور وآثار إخوانك المحسنين ونضعهم بين صور ملوك العرب أدامك الله عونًا للإسلام.

إنْ تفضلت أنْ تلفتي نظرك فوق أفضالك السَّابقة إلى حامل هذا التَّحرير لكي يقضي أشغالا في بلدتك العامرة بأنفاسك الطَّاهرة وتفهمين من الذين يقرأ لك هذا التَّحرير معناه، وتضيفين مبرة جديدة إلى مبراتك السَّابقة لمساعدة إخوانك المنكوبين في سبيل دينهم ووطنهم والله لا يضيع أجر المحسنين.

(فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا يره).

انظر لمن حوى الدنيا بأكملها هلْ راح منها بغير القطن والكفن

جزاك الله خيراً يا سيدة المحسنين والسَّلام عليك وعلى أشقائك المذكورين ومن بحول محلك العامر.

سكرتير الجمعيَّة

خاتمة

فهذه الوثيقة تُعَدُّ من إحدى الوثائق الكثيرة حول تاريخ العمل الإنساني في دولة الكويت، والشُّكر لمجلة وثائق تاريخيَّة بمركز دراسات الخليج والجزيرة العربية في جامعة الكويت وللدكتور فيصل أبو صليب مدير المركز ولجميع العاملين فيه لتدشين هذه المجلة التي تُساهم بإذن الله في تسليط الضَّوء على الوثائق القديمة في دولة الكويت والخليج العربي، والشُّكر لبيت الزَّكاة ولإخوة السَّيدة شاهة حمد الصَّقر الذين ساهموا في استخراج هذه الوثيقة ونشرها، والشُّكر للباحث خالد سالم السَّداني الذي جمع مقالات مجلة الفتح الخاصة بدولة الكويت(١٤).

١٤ـ الكويت في صحيفة الفتح، لصاحبها محب الدين خطيب، جمع المادة وعلق عليها السيد خالد سالم السداني، ٢٠١٧م، ط١، الكويت، ص٧٩

الوثائق

● الوسام المجيدي من الدولة العثمانية تم إهداؤه لعدد من حكام الكويت

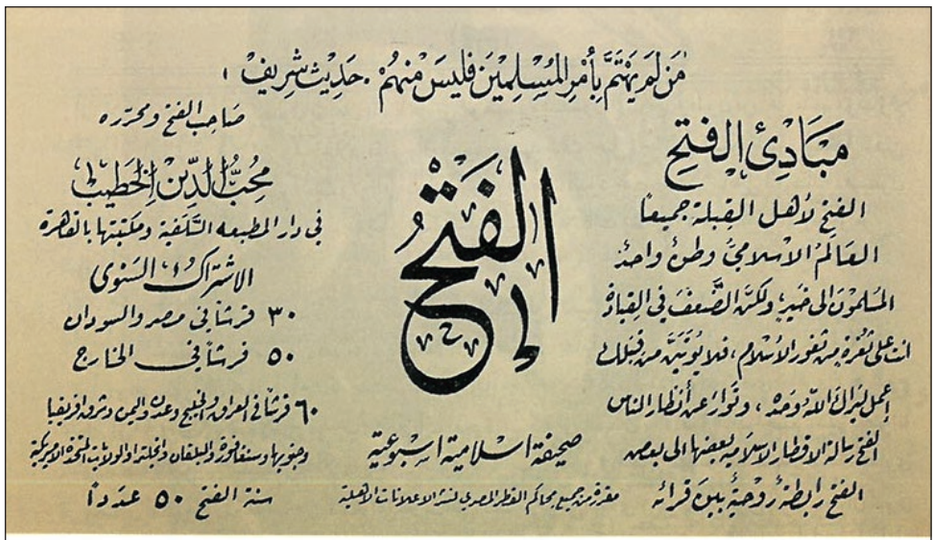

صحيفة الفتح. تصدر من القاهرة وهي صحيفة إسلامية علمية أخلاقية سياسية إسبوعية، أسسها محب الدين الخطيب. شارك فيها النخبة من العلماء ورواد الإصلاح من خلال كتابة المقالات، وأول عدد لها كان في ١٠ يونيو ١٩٢٦ واستمرت إلى عام ١٩٤٨.

● **غلاف مجلة الفتح**

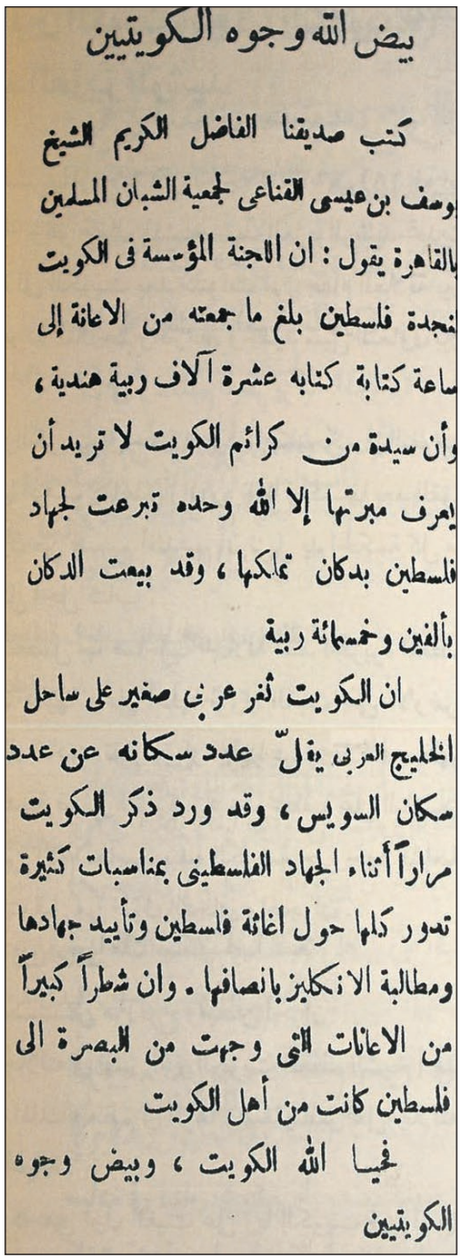

بيض الله وجوه الكويتيين

كتب صديقنا الفاضل الكريم الشيخ
وصف بن عيسى القناعى لجمعية الشبان المسلمين
بالقاهرة يقول : ان اللجنة المؤسسة فى الكويت
لنجدة فلسطين بلغ ما جمعته من الاعانة إلى
ساعة كتابة كتابه عشرة آلاف ربية هندية ،
وأن سيدة من كرائم الكويت لا تريد أن
يعرف مبرتها إلا الله وحده تبرعت لجهاد
فلسطين بدكان تملكها ، وقد بيعت الدكان
بألفين وخمسمائة ربية

ان الكويت ثغر عربى صغير على ساحل
الخليج العربى يقل عدد سكانه عن عدد
سكان السويس ، وقد ورد ذكر الكويت
مراراً أثناء الجهاد الفلسطينى بمناسبات كثيرة
تدور كلها حول اغاثة فلسطين وتأييد جهادها
ومطالبة الانكليز بانصافها . وان شطراً كبيراً
من الاعانات التى وجهت من البصرة الى
فلسطين كانت من أهل الكويت

فحيا الله الكويت ، وبيض وجوه
الكويتيين

● صورة مقالة مجلة الفتح

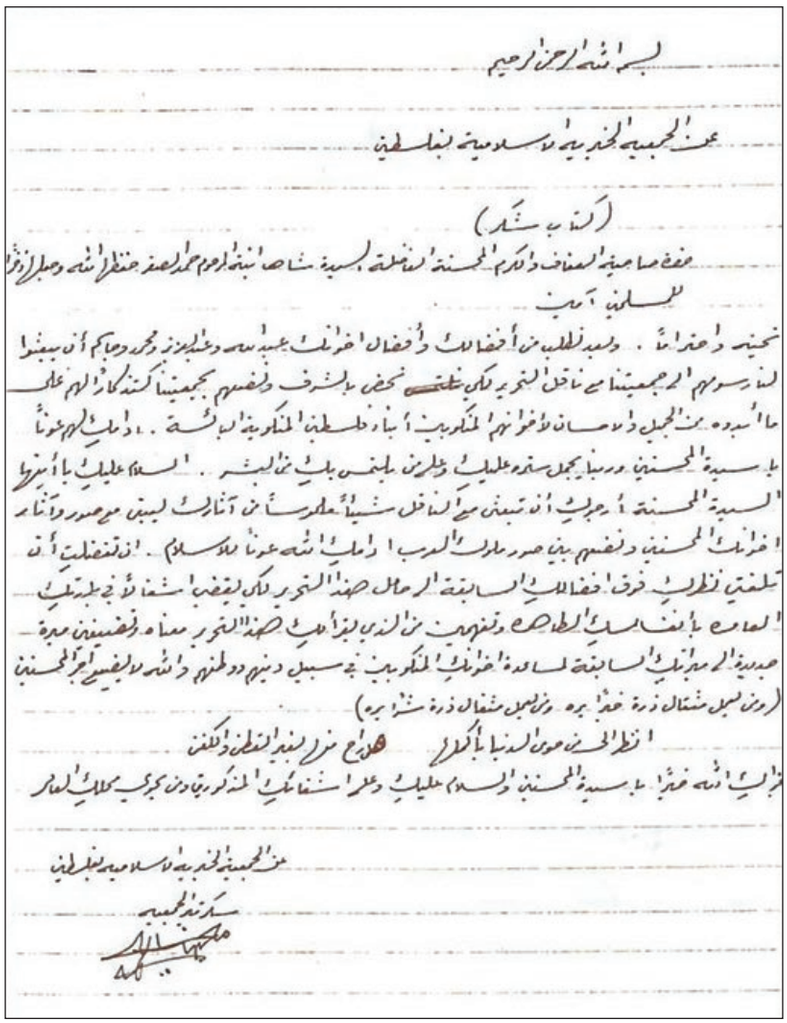

بسم الله الرحمن الرحيم

من الجمعية الخيرية الإسلامية بفلسطين

(كتاب شكر)

تفضل صاحبة الضاف ذكرى المحسنة المغفلة السيدة شاهه ابنة المرحوم محمد الحمد الصقر تغمدها الله وجعل الجنة مثواها آمين

تحية واحترام . وبعد نطلب من أفضالك وأفضال أفراد عيسى عبد الله وعبد العزيز ومحمد وجاسم أن يبعثوا لنا رسومهم الرجعية عن ناقل النحرير لكي نقوم بالشرف ونقسم بجميعنا كتذكار لهم على ما أسبغوه من الجميل وإحسان لأخوانهم المنكوبين أبناء فلسطين المنكوبة البائسة . وأملنا لهم عوناً بالسيدة المحسنة وربنا يجعل ستره عليك ويلبسك ثياب الصحة . السلام عليك يا أيتها السيدة المحسنة أرجوك أن تبعثي لنا نماذج شيئاً مما رسمتك أيدي آثارك ليبقى من صور وآثار أفراد المحسنين ونقسم بين صور ملوك العرب وأملنا الله عوناً للإسلام . إن تفضلتي أن تلبي نظرتي فرق أفضالك السابقة الرحال هذا النحرير لكي يقضي شفاءً في بلدتك العامرة بأنفاس الطاهرة وتفوزين من الذي بيده ملك هذا النحرير بعناه وتضيفين مدة جديدة لمدة أيامك السابقة لسادة أفراد المنكوبين في سبيل دينهم ووطنهم والله لا يضيع أجر المحسنين (ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره)

انظر الحسنى من الدنيا بأكملها هذا ما نرى بعد النظر وأكثر

فليتفضل الله خيراً يا سيدة المحسنة وأسدى عليك وعلى أشقائك المذكورين بموجب ملك العامر

من الجمعية الخيرية الإسلامية بفلسطين

سكرتير الجمعية

• **صورة الوثيقة: كتاب شكر من الجمعية الخيرية الإسلامية بفلسطين إلى السيدة شاهه الحمد الصقر**

الوقف الخيري في الكويت:
المحسن الكويتي ناصر بن عبدالله الفنيني

أ. طلال سعد الرميضي
أمين عام رابطة الأدباء السَّابق ومؤرِّخ كويتي

تمهيد:

إنَّ الوثائق التاريخيَّة تكشفُ لنا الكثير من الأخبار المهمَّة والمعلومات المهملة التي تبين لنا السِّمات العامَّة لحياة الأجداد في مجتمع كويت ما قبل النفط ، وتأتي وثائق الوقف الشَّرعي كنموذج منها لتعرفنا بمدى تعلق الكويتيين بالدِّين الإسلامي الحنيف، ولعلَّنا من خلال قراءة وثيقة وقف المحسن ناصر بن عبد الله الفنيني لأباره المسمَّى أبا العليمات والذي يعتبر من أقدم الأوقاف القديمة بتاريخ الكويت، سنتعرَّفُ على صفحة مشرقة من العمل الخيري الكويتي؛ لذا سنعمل على شرح حيثيات هذه الوثيقة النَّادرة وبعض الأوضاع العامَّة المصاحبة لوقت تحرير هذا الوقف الخيري .

لا شكَّ أنَّ وثائق الوقف تعدُّ مادة خصبة ومهمة لدراسة تاريخ الكويت الاجتماعي ، حيثُ تناول العديد من الباحثين وثائق الأوقاف الكويتيَّة بدراسات مهمَّة من جوانب مختلفة، ومنها المؤرِّخ د. عادل العبد المغني في كتابه (وثائق الوقف الكويتيَّة دراسة تراثيَّة)[1]، والدُّكتور وليد عبد الله المنيس في بحثه المعنون (المكونات

١ـ الكويت ، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م .

العمرانيَّة لمدينة الكويت في وثائق الوقف الكويتيَّة)[٢] ، وأ. د. فيصل الكندري في بحثه (نشاط المرأة الكويتيَّة من خلال وثائق الوقف)[٣] وبحثه (وثائق الوقف الكويتيَّة وأهميتها التاريخيَّة)[٤] والباحث باسم اللوغاني في مقالات صحفيَّة عديدة وغيرهم.

وقف ناصر الفنيني:

حُرِّرتْ وثيقة الوقف من قِبَلِ قاضي الكويت الشَّيخ محمد بن عبد الله العدساني بتاريخ الأوَّل من شهر ربيع أول من سنة ١٣٣٨هـ الموافق (٢٤/ ١١/ ١٩١٩م)، وسنعملُ على قراءة نصِّ الوثيقة مع وضع نقط مكان المفردة التي لم نستطع قراءتها وفقا لما يلي:

نصُّ الوثيقة:

(السَّببُ الدَّاعي إلى تحرير هذه الأحرف الشرعيَّة وهو أنه قد حضر لدي عمر بن مرزوق الفنيني وشهد لله تعالى أنَّ خر القلبان الذي في أبا العليمات الذي يحدُّه: قبلتا البريعصي وشمال المقوع وشرقًا بنيد القار وجنوبًا الدعية أنها وقفُ سبيل من جدِّهم ناصر الفنيني لا عليها بيع ولا شراء ولا ... [٥]فيها يروي منها ماءً ...[٦]ثوابه ولذلك يصير ناصرٌ ولد سعود (ناظر على)[٧] الوقف و...[٨]الخر المذكور موقوف وقفًا صحيحًا شرعًا لا يُباع ولا يورث ولا يُوهب ويرهن ويحفر فمن بدَّله بعد ما سمعه فإثمه على الذين يبدلونه حتى لا يخفى.

(جرا وحرِّر في ١ ربيع أول ١٣٣٨هـ) .

٢ـ مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، العدد التاسع والثمانون ، أبريل - مايو - يونيو ١٩٩٨م .
٣ـ المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، العدد الثامن والسبعون ، ربيع ٢٠٠٢م .
٤ـ حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ، الرسالة ٢٢٦ ، الحولية ٢٥ ، مارس ٢٠٠٥م .
٥ـ كلمة غير واضحة .
٦ـ كلمات غير واضحة .
٧ـ القوس هي العبارة الممسوحة .
٨ـ كلمات غير واضحة .

وكتب في أعلى الوثيقة من جهة اليسار ما يلي: (لله سبحانه جرا كما ذكر لدي وأنا العبد الفاني محمد بن عبد الله العدساني)، وعليها ختم القاضي محمد عبد الله العدساني، وعليها ختم دائرة الأوقاف العامَّة في أعلى الوثيقة من جهة اليمين ومكتوب بأنَّه سجلت بدفتر الخيرات جلد ٢ بند ٢٩.

الواقف ناصر الفنيني:

هو المحسن ناصر بن عبد الله بن صالح بن محمد بن ناصر الفنيني من أسرة كويتيَّة عريقة سكنتْ في مدينة الكويت ويقع بيتهم داخل السُّور الأوَّل، وتنتمي أسرة الفنيني إلى فخذ الذيبات من بطن غياض من قبيلة العوازم الهوازنيَّة[٩]، واشترك والده في معركة الرِّقة البحريَّة عام ١٧٨٣م، وأسَّس جدَّه المحسن صالح بن حثيل الفنيني مسجد الحدَّاد والذي يعتبر من المساجد القديمة في تاريخ الكويت، ولهم كوت معروف باسمهم وموقعه بالقرب من قلبان أبا العليمات.

والجديرُ بالذِّكر أنَّ هذه الأسرة الكويتيَّة تتبع المذهب المالكي، وجبلت على فعل الخير بالتَّبرع والوقف والصَّدقات ومساعدة الفقراء والمحتاجين، ومنها شقيقه المحسن مطلق بن عبد الله الفنيني الذي أوقفَ نصف بيته وحظوره[١٠] في وثيقة عدسانيَّة حرَّرها الشَّيخ محمد بن عبد الله العدساني بتاريخ ٣ من ذي القعدة من سنة ١٢٧٩هـ (٢٢/ ٤/ ١٨٦٣م)، وتوفي في الرُّبع الأخير من القرن التَّاسع عشر الميلادي في عهد حاكم الكويت المغفور له الشَّيخ عبد الله بن صباح[١١]، كما أوقف ولديه: سعد وسعود ناصر الفنيني بيتين ومجموعة حظور على ساحل الشِّويخ في وثيقة عدسانيَّة حُرِّرتْ بتاريخ ١٩ من ذي الحجَّة من ١٣٠٣هـ (١٨/ ٩/ ١٨٨٦م)[١٢]، وأوقفت المحسنة حمدة الفنيني بيتها الكائن في دروازة العبد الرزَّاق في وثيقة حرَّرها القاضي محمد بن عبد الله العدساني بتاريخ ٢٦من ربيع الثَّاني سنة ١٣٢٧هـ (١٧/ ٥/ ١٩٠٩م)[١٣].

٩ـ (الدليل إلى الأسر الكويتية) د.إبراهيم جار الله الشريفي، مكتبة العجيري، الطبعة الأولى ٢٠١٢م، صفحة ٤٤٩.
١٠ـ من وسائل صيد الأسماك القديمة عبارة عن شباك تنصب على الساحل ومشتقة من الحظر أي المنع، ومفردها حظرة وكانت تباع وتشترى بأسعار تفوق البيوت ثمنا.
١١ـ (معجم تراجم أعلام الوقف) الجزء الأول، الأمانة العامة للأوقاف، الطبعة الأولى ٢٠١٤م، صفحة ٣٩٣.
١٢ـ (سجل العطاء) الجزء الأول، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، الطبعة الثانية ٢٠٠٣م، صفحة٣٢.
١٣ (سجل العطاء) الجزء الثاني، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، الطبعة الثانية ٢٠٠٣م، صفحة ٢٨.

وإنْ كانت المعلومات عن حياة الواقف شحيحة إلا أنَّها تذكر بأنه ولد في الرُّبع الأخير من القرن الثَّامن عشر الميلادي في سنة غير معلومة وعاش في بيته الكائن بفريج العوازم بوسط مدينة الكويت حياةً كريمةً، وتملَّك العديد من المزارع والآبار، ومنها الخر المشهور أبا العليمات والذي يُوصف بغزارته وعذوبة مياهه وحدَّدت وثيقة الوقف موقعه في الدَّسمة وتحديدًا قبلة بوابة البريعصي المعروفة ببوابة الشَّعب وشمالا المقوع وشرقًا بنيد القار وجنوبا الدعية، واتَّسم رحمه الله بالصِّيت الحسن والكرم وحبه لفعل الخير، وتمثَّل ذلك بقيامه وقف آباره المسمَّى أبا العليمات تقربًا لوجه الله عزَّ وجل والسَّماح لكلِّ العابرين على أرضه بالتَّزود بالمياه العذْبة بدون مقابل، واعتنى بحفر الآبار لسقاية النَّاس مجانًا، وتوفي رحمه الله في منتصف العمر وذلك في سنة الطَّاعون المشهورة عام ١٨٣١م (١٢٤٧ه)[١٤]، وتوفي معه والده عبد الله الفنيني رحمهما الله وجمع كبير من الكويتيين في هذه الفاجعة الكُبرى.

وبعد وفاته تولَّى نظارة الوقف أولاده: سعد وسعود، ومن بعدهما حفيده ناصر بن سعود ابن الواقف ناصر الفنيني كما نصَّت عليه وثيقة الوقف، واستمر بالنَّظارة يتولَّى شئون الخرّ وقيامه بالعناية به وحفره حتى وفاته عام ١٩٤٤م.

الوثائق العدسانيَّة:

تعتبر وثيقة وقف الفنيني من الوثائق العدسانيَّة المهمَّة، حيث عرفت أغلب الوثائق الشرعيَّة القديمة بتاريخ الكويت باسم الوثائق العدسانيَّة، نسبة لاسم القاضي الذي قام بكتابتها وهو من أسرة العدساني التي برز منها عدَّة قضاة تولوا منصب القضاء لمدة تتجاوز القرن والنِّصف، وساهموا في تطبيق العدل والأمن بالكويت وإثبات حقوق وملكيَّات الأجداد[١٥].

وحازت الوثائق العدسانيَّة على مرِّ الزَّمن على أهميَّة كُبرى ومصداقيَّة في محتوياتها ومضمونها لدى أهل الكويت جميعًا؛ لتكون حجَّة قانونيَّة مُعْترفٌ بها، بخلاف

١٤ـ انظر كل من عبدالعزيز الرشيد(تاريخ الكويت)ويوسف بن عيسى (صفحات من تاريخ الكويت)وأحمد البشر (مقالات عن الكويت) .

١٥ـ طلال الرميضي (الكويت والخليج العربي في السالنامة العثمانية) الكويت ، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م ، صفحة ٩٣ .

الوثائق الشرعيَّة التي كان يكتبها بعض رجال الدِّين بدون ختم القاضي الشَّرعي بالكويت.

ووثيقة الوقف كتبها الشَّيخ محمد بن عبد الله العدساني وهو القاضي الثَّامن في تاريخ الكويت، وُلِدَ عام ١٨٣٠م في فريج العداسنة، وتولَّى منصب القضاء بعد وفاة والده عام ١٨٥٧م بأمر من حاكم الكويت الشَّيخ جابر بن عبد الله الصُّباح واستمرَّ في القضاء حتى وفاته عام ١٩١٩م[١٦]، وقام بتحرير المحسن ناصر الفنيني بصيغته المعهودة والمتداولة، ومقاربة للكثير من وثائق الوقف التي حرَّرها خلال توليه منصب القضاء.

الوقف قديمًا بالكويت:

يعتبرُ الوقف من السِّمات المميَّزة في المجتمع الكويتي المسلم، حيث كَثُرَتِ الأوقاف القديمة عبر تاريخ الكويت، ونستدلُّ من خلال ذلك على الخلق الإسلامي الرَّصين الذي اتَّصف به الأجداد وتقرُّبهم لله عزَّ وجل، وتمثَّل ذلك أيضًا في كثرة بناء المساجد وفعل الصَّدقات ومساعدة الفقراء والمحتاجين وإقامة ولائم الإفطار وغيرها.

ويُعَدُّ الوقف من الأفعال الخيريَّة التي قام به الكويتيين الأوائل، والوقف في اللغة: هو الحبس ويُقال: وقفتُ الدَّار وقفًا أيْ حبستها في سبيل الله، ويُعرف الوقف اصطلاحيًّا بأن يقوم الفرد بحبس هو حبس العين على حكم الواقف والتصدُّق بالمنفعة[١٧].

وتنوُّع أشكال العين الموقوفة من بيوت أو مزارع أو حوط أو آبار وغيرها، ويعتبر وقف المياه في الكويت من الأمور المهمَّة والمفيدة لأهالي الكويت[١٨]، نظرًا

١٦ ـ انظر طلال الرميضي (الفتوى والمفتون في الكويت عبر تاريخها) ، كتاب (الفتوى والمفتون في الخليج) الكتاب الثامن والسبعون - مركز المسبار للدراسات والبحوث ، يونيو ٢٠١٣م ، صفحة ٨١ .

١٧ ـ د.محمد كل عبيد الله عتيقي وآخرين (المصطلحات الوقفية) ، الأمانة العامة للأوقاف ، الطبعة الأولى ١٩٩٦م ، صفحة ٢٥١ .

١٨ـ ألف د. خالد يوسف الشطي كتاب (جهود أبناء الكويت التطوعية في سقاية الماء قديما وحديثا) تناول نماذج رائعة من العطاء الخيري .

لشحِّ المياه وقلة الأمطار وعدم وجود أنهارٍ في الكويت، لذا حرص الكويتيين على القيام بذلك تقربًا لله عز وجل، وتطبيقًا لقول الرَّسول صلى الله عليه وسلم (أفضل الصَّدقة سقي الماء)[١٩]، وكما هو معروف بأن مياه الآبار كانت تُباع على النَّاس لحاجتهم الضروريَّة لها في حياتهم اليوميَّة: للشرب وغسيل الملابس والري وسقي الدَّواب وخلافه، لذا فإنَّ وقف المياه لعابري السَّبيل خارج السُّور يعتبر من الأفعال المهمَّة والمحمودة؛ لكون أهل البادية أو ما يعرفون بعريب دار يتنقلون في بوادي الكويت ويقومون بتجارة المسابلة مع تجار الكويت، ويمرُّون على مزارع الدَّسمة في ذهابهم ومغادرتهم، فقد تنقص مياه الشُّرب لديهم؛ لذا فإنَّ قلبان أبا العليمات في موقعها الإستراتيجي كانت تخدمهم بشكل كبير واكتسبت شهرة واسعة عند أهالي الكويت.

كما اكتسب هذا الوقف أهمية أُخرى وهي أنه يعتبر من أقدم الأوقاف الكويتيَّة، حيث أوقفت القلبان في عهد حاكم الكويت الثَّالث الشَّيخ جابر الأول بن عبد الله بن صباح الذي تولَّى مقاليد الحكم خلال عامي: ١٨١٢م -١٨٥٩م، وتحديدًا قبل عام ١٨٣١م حيث توفي الواقف بسنة الطَّاعون المشهورة كما أسلفنا، ولعلَّ تسجيل وثيقة الوقف لدى قاضي الكويت بوثيقة رسميَّة بعد مضي قرن على إنشائه يعود أما لفقدان الوثيقة القديمة وهذا جائز ومتداول لدى القضاة العداسنة في أكثر من وثيقة في حالة تلفها أو فقدانها، أو لإثبات رغبة الواقف رسميًّا بعدما كان الوقف شفاهةً ومعروفًا ومتداولا لدى أسرته، وشهد على وثيقة إثبات وقف المحسن ناصر الفنيني أحد أقاربه وهو عمر بن مرزوق الفنيني الذي أقرَّ على رغبة الواقف بوقف قلبان خرّ أبا العليمات.

وأطلق على العين الموقوفة وهي خر قلبان اسم أبا العليمات، وكان أهل الكويت قديمًا يطلقون المسميات على الآبار نظرًا لأهميتها وكثرتها، وتقع مزرعة الواقف ناصر الفنيني بوسط مزرعته في منطقة زراعيَّة قديمة وهي الدَّسمة[٢٠]، ومسمَّى

١٩ـ رواه أحمد والنسائي.
٢٠ـ تقع آبار أبا العليمات في قطعة اثنين بمنطقة الدسمة وأطلق عليها اسم (واو) وفق التنظيم العمراني الجديد وتوزيع بيوت فيها.

دسمة ودسمان مشتق من الدَّسم، ويُطلق على الأرض الزراعيَّة الخصبة اسم دسم لذا سميت بهذا الاسم، ويقول الأستاذ مطلق الجافور عن أبار الدَّسمة بأنها (مجموعة آبار منتشرة في منطقة الدَّسمة، وهذه تُعَدُّ من الآبار قليلة الملوحة، كانت تسقي المزروعات التي عرفت بهذه المنطقة في الزَّمن الماضي، وخاصة الخضروات، ويقدَّر عدد آبار الدسمة حوالي ٤٠ بئرًا) [٢١] .

وقد عمل الكويتيون الأوائل بزراعة مناطق مختلفة في الكويت ومنها الشَّامية والدَّسمة والحصحص والصَّوابر والدَّمنة والبدع والفنطاس والفحيحيل والجهراء، ويبدأ الموسم الزِّراعي في فصل الخريف ويستمرُّ حتى نهاية موسم الرَّبيع لارتباطهم بشكل كبير بالأمطار أو على الآبار الجوفيَّة، وتقتصر زراعتهم لبعض الخضروات التي يستهلكونها أو لبيعها في الفرضة، واعتمدوا في الزِّراعة على المياه الجوفيَّة داخل باطن الأرض، وتستخرج بواسطة حفر الآبار ومفردها بئر وتُسمَّى باللهجة الكويتيَّة جليب، وتختلف في عمقها وغزارتها وعذوبتها، أما الخرّ بتشديد الراء فهو عبارة عن بئر من الآبار الجوفيَّة وتختلف طريقة حفره عن الآبار الأخرى، بحيث يُقوم مالك الأرض عند نزول الأمطار بوضع سدود صغيرة في طريق سيل مياه الأمطار، مما ينتج عنه تجمُّع مياه المطر في مكان محدد ، وتكون هذه الأرض التي تتجمع بها الأمطار أرض طينيَّة تتسم بامتصاص الماء واحتفاظها به، وتستخدمُ هذه المياه بعد جفاف الأرض بأن يقوم صاحب الأرض بحفر جليب في هذا الموقع لاستخراج المياه وتخر المياه فيه ومنها أتت هذه التَّسمية، وعند جفاف هذا الجليب تحفرُ بالقرب منها جليب أخر ى، ودائمًا تكون مياه الخرّ عذبةً صالحةً للشُّرب[٢٢]، ويطلقون أهل الكويت في الماضي على كل خرّ باسم صاحبه، ومنها خرّ الفنيني وخرّ ابن حمَّاد وخرّ السَّهلي وخرّ زريج وخرّ الهويدي وخرّ القناعي، ويكون الخرّ أصغرَ حجمًا من السَّد كسد الشَّعب وسدِّ الدمنة و الذي أشارت إليه الدكتورة فاطمة حسين العبدالرزاق في كتابها القيِّم (المياه والسُّكان في الكويت)[٢٣] .

٢١ـ (المياة الجوفية في الكويت قديما أماكنها ومواقعها) ، مطبعة الفيصل ، الكويت ، الطبعة الأولى ٢٠١١م ، صفحة ٤٠ .
٢٢ـ لقاء مع الشاعر الأديب سعود سعد الغريب (مواليد ١٩٤٥م) .
٢٣ـ دار ذات السَّلاسل ، الطَّبعة الأولى ، ١٩٧٤م ، صفحة ١٧ .

مصير الوقف:

وحيثُ إنَّ وقف المياه لا يُستفاد منه بعد أن توفَّرت المياه الصَّالحة للشُّرب بفضل مصانع تحلية المياه التي قامت الحكومة الكويتيَّة بتوفيرها في الخمسينيَّات من القرن الماضي، و لتحقيق الرَّغبة المنشودة للواقف بشأن فعل الخير، قامت إدارة الأوقاف والشُّئون الإسلاميَّة بالتَّواصل مع أحفاد الواقف لأخذ مواقفتهم على بناء مسجد في موقع العين الموقوفة، وتمَّ بناءُ مسجد عمار بن ياسر وافتتاحه عام ١٩٦١م (١٣٨٠هـ) .

وفي الختام نكون قد تعرفنا على صفحة مشرقة من العطاء الخيري لنموذج مشرف لأحد الأجداد الذين كانوا يتعاونون في الكفاح والعطاء على هذه الأرض الطيبة، وأن الخير والبذل سمات متأصلة في هذا الشعب الأصيل منذ التأسيس وحتى يومنا الحاضر.

الوثائق

• وثيقة وقف المحسن ناصر بن عبد الله الفنيني المتوفى في سنة الطاعون عام ١٨٣١م والتي حررها حفيده الناظر ناصر بن سعود الفنيني يرحمه الله

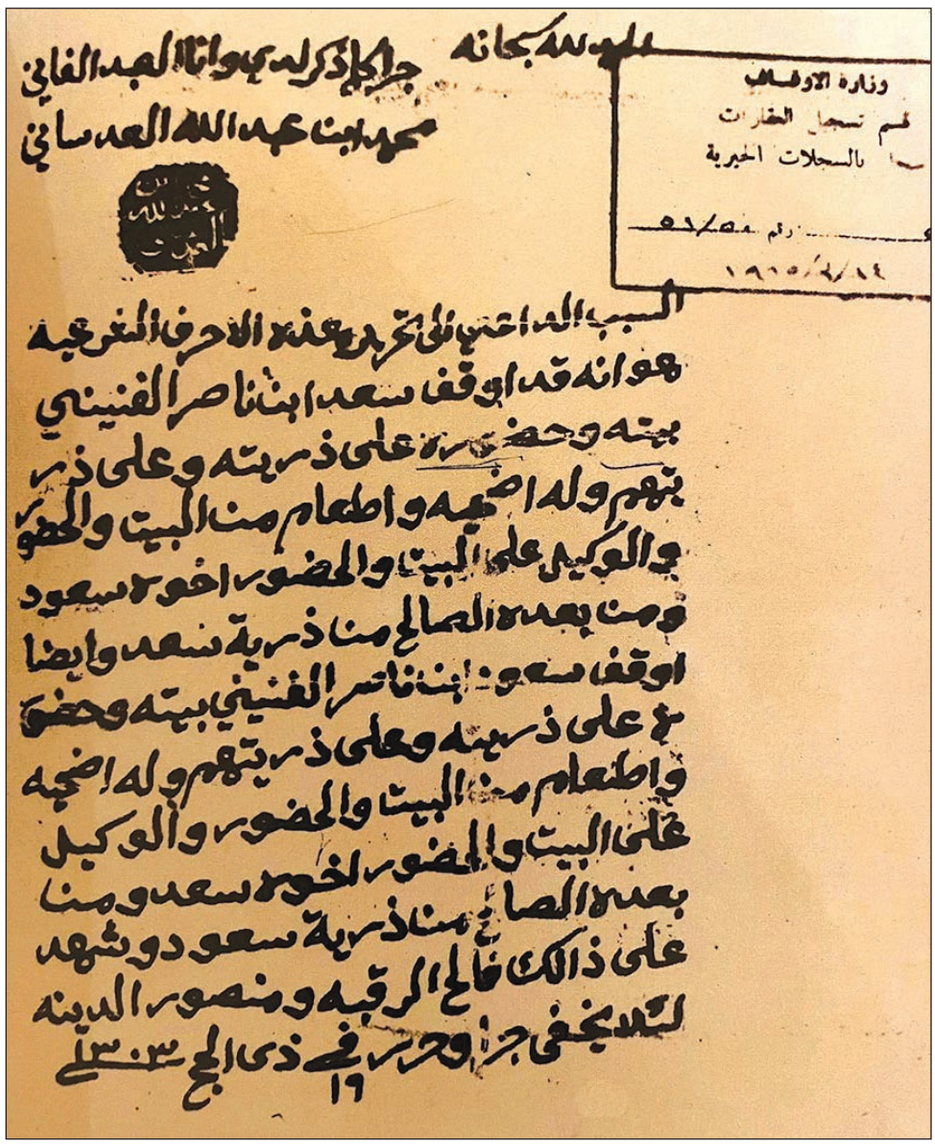

● وثيقة وقف سعد وسعود ابني المحسن ناصر الفنيني مؤرخة ١٩ ذي الحجة سنة ١٣٠٣هـ

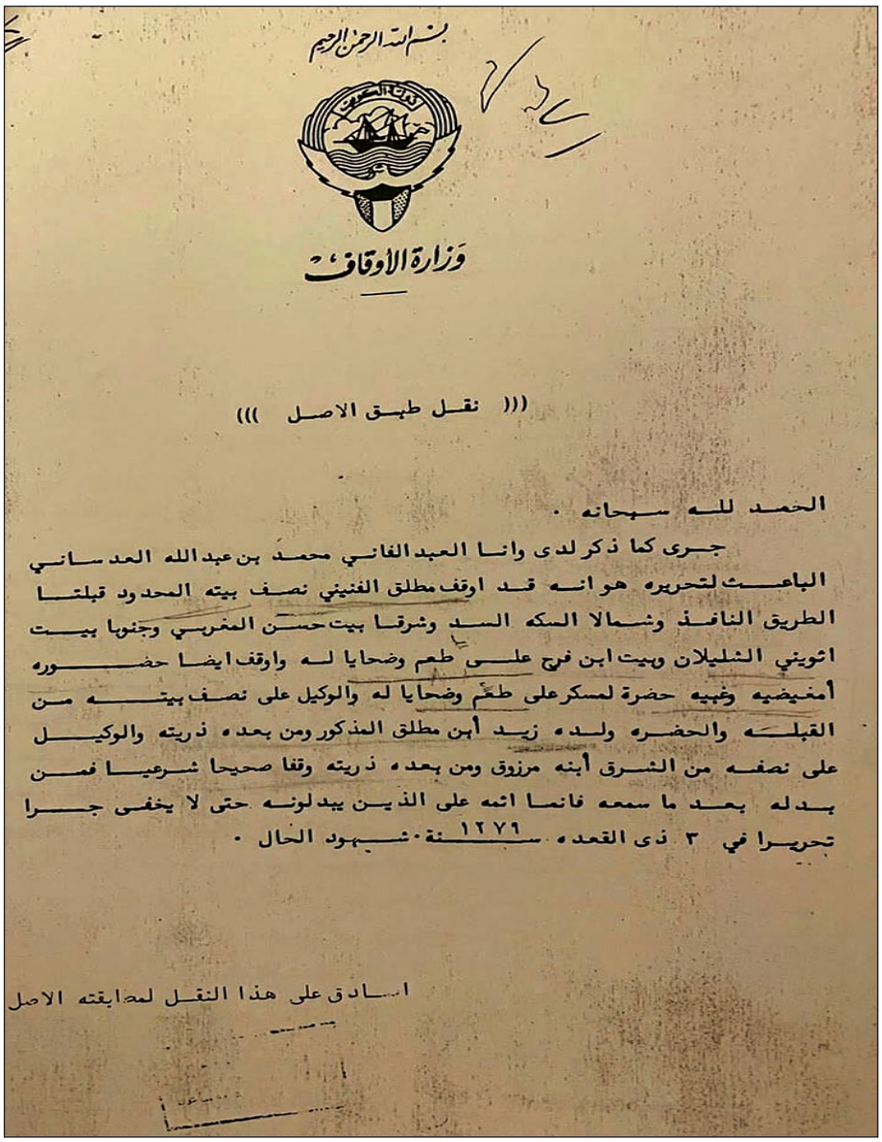

بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة الأوقاف

(((نقل طبق الاصل)))

الحمد لله سبحانه .

جرى كما ذكر لدى وانا العبد الفاني محمد بن عبدالله العدساني الباعث لتحريره هو انه قد اوقف مطلق الفنيني نصف بيته المحدود قبلتا الطريق النافذ وشمالا السكه السد وشرقا بيت حسن المغربي وجنوبا بيت اثويني الشليلان وبيت ابن فرج على طعم وضحايا له واوقف ايضا حضوره أمغيضيه وغبيه حضرة لمسكر على طعم وضحايا له والوكيل على نصف بيته من القبله والحضره ولده زيد أبن مطلق المذكور ومن بعده ذريته والوكيل على نصفه من الشرق أبنه مرزوق ومن بعده ذريته وقفا صحيحا شرعيا فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه حتى لا يخفى جرا تحريرا في ٣ ذى القعده سنة ١٢٧٩ شهود الحال .

اصادق على هذا النقل لمطابقته الاصل

• وثيقة طبق الأصل لوقف المرحوم مطلق بن عبدالله الفنيني شقيق المحسن ناصر الفنيني التي حررها القاضي محمد بن عبدالله العدساني بتاريخ ٣ من ذي القعدة سنة ١٢٧٩هـ

مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية

قـواعـد النشر في دوريـة (وثـائـق تـاريـخـيـة)
بـمركـز دراسـات الخـليـج والجـزيـرة الـعـربـيـة ـ جـامـعـة الـكـويـت

١ـ يرحب المركز بالبحوث التي تُركز على الوثائق التاريخية التي تتعلق بدولة الكويت ومنطقة الخليج والجزيرة العربية.

٢ـ أن يشمل البحث عرض وثيقة تاريخية، والتعليق عليها بصورة بحثية.

٣ـ ألا تقل عدد كلمات البحث عن (٢٥٠٠) كلمة.

٤ـ أن يقدم البحث إلى مدير المركز عبر الإيميل
gulf_center@yahoo.com .

٥ـ يمنح الباحث (٥٠) نسخة من الإصدار.

٦ـ يمنح الباحث مكافأة مالية قدرها (١٠٠) دينار كويتي.